مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مجلّة - إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكّمة

تصدر سنويًا عن

كليّة الدّعوة الإسلاميّة

العدد الخامس والثلاثون

لسنة 1443 هجرية الموافق: 2021 ميلادية

توجيه الآيات المتشابهة
بين التكرار والتصريف

د. زكية عبد الله أحمد امعيقل
كلية الآداب - جامعة بني وليد

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، فهو الذي وفق وأعان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن لتوجيه الآيات المتشابهات شأناً كبيراً، فقد عُني به المتقدمون، ولم يغفل عنه المتأخرون، إلاّ أن هناك أموراً يجب ألاّ تخفى على كل من له عناية بتفسير القرآن الكريم، ومن بينها وصف مثل هذه الآيات بالتكرار، وترك الوصف المناسب لها وهو التصريف، ومن هنا جاء هذا البحث؛ ليعطي إضاءة حول هذا المصطلح؛ وليبين أيهما أولى دلالة في توجيه الآيات المتشابهات، فلم تتجه هذه الدراسة إلى دراسة الآيات المتشابهات ذاتها من أحد جوانبها سواء من جانب نحوي، أو بلاغي، أو لغوي؛ بل كانت دراسة تقوم على الموازنة بين من قال بالتكرار أو من استخدم لفظه وعنى به التصريف، ومن قال بالتصريف وأنه أولى دلالة على المعنى.

وقد تعددت مناهج البحث في هذه الدراسة فجمعت بين المنهج الوصفي الذي يعتمد على توضيح كل ما يتعلق بالمسألة، والمنهج الاستقرائي من خلال

تتبع آراء المفسرين، وأقوالهم، والمنهج المقارن الذي يتناول مقارنة الأقوال ومناقشتها، والاجتهاد في الوقوف على أقربها للحق والصواب، وسيأتي كلامي مقسماً إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع على النحو الآتي:

أما المقدمة فلبيان فكرة البحث، ومنهجه، وتقسيمه.

وأما التمهيد فقد خصصته للتعريف بالآيات المتشابهات.

وأما المبحث الأول فقد خصصته للتصريف والتكرار وجعلته في مطلبين:

المطلب الأول ــ التصريف، والألفاظ المرادفة له.

المطلب الآخر ــ التكرار وما قاربه من ألفاظ.

وأما المبحث الثاني فكان لبيان موقف العلماء من التكرار والتصريف.

وأما المبحث الثالث فكان نماذج مختارة من الآيات المتشابهات.

وأما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج **التي ظهرت للباحثة من خلال هذا الموضوع**، وأهم التوصيات.

وألحقت بالبحث ثبتاً بالمصادر والمراجع.

التمهيد - التعريف بالآيات المتشابهات

أولاً ــ المتشابه لغة: يرد التشابه على معنيين، هما: التماثل، والالتباس، يقول الخليل:» قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[1] أي: يُشبه بعضها بعضاً، والمشتبهات من الأمور: المشكلات.... واشتبه الأمر، أي: اختلط، وحروف الشين يقال لها أشباه وكل شيء يكون سواءً فإنها أشباه»[2].

(1) سورة آل عمران، من الآية:7.

(2) العين 404/3، (مادة: شبه).

وبه قال الأزهري[1]، وكذلك ورد عند الجوهري» الشُبهة: الالتباس، والمُشبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات ... والتشبيه: التمثيل»[2].

ويقول ابن فارس: «الشين، والباء، والهاء: أصل واحد يدل علىٰ تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً»[3]، وقال ابن منظور: «أشبه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ»[4].

ونستخلص مما سبق أن المتشابه هو التقارب أو التماثل من الكلام المنطوق، وقد يؤدي هذا التقارب أو التماثل إلى اللبس.

ثانياً ـ الآيات المتشابهات اصطلاحاً: عرفها الكسائي في مقدمة كتابه بقوله:» ما تشابه بين ألفاظ القرآن، وتناظر من كلمات الفرقان»[5]، ونقل الطبري في تفسيره أن « المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقَصّه باتفاق الألفاظ، واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني»[6].

كما عرفها الخطيب الإسكافي بأنها:» الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة والمنحرفة»[7]، ووصفها الكرماني بقوله:» الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم، أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان»[8].

(1) ينظر: تهذيب اللغة59/6، (مادة: شبه).
(2) الصحاح2236/6، (مادة: شبه).
(3) **مقاييس اللغة**243/3، **(مادة: شبه)**.
(4) لسان العرب503/3، (مادة: شبه).
(5) متشابه القرآن ص50.
(6) جامع البيان178/6.
(7) درة التنزيل وغرة التأويل ص7.
(8) البرهان في متشابه القرآن ص19، 20.

وتحدث عنها الزركشي وجعلها ضمن العلوم الأولىٰ المصنفة في كتابه تحت عنوان:(علم المتشابه) فقال:» وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتىّ وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرّف في الكلام، وإتيانه علىٰ ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك: مبتدأً به ومكرراً...»[1].

ومن خلال ما تقدم يمكن تعريف الآيات المتشابهات بأنها: الآيات التي تشابهت في النظم الكريم لفظاً،» أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها أو كليهما، مع تقارب المعنىٰ لغرض ما»[2]، وعُرضت بأساليب متنوعة يتجلّىٰ من خلالها عظمة الأسلوب القرآني وبراعته في استخدام الألفاظ، وتصريفها.

فالمراد بالمتشابه هنا ليس المتشابه في المعنىٰ، والخفي في الدلالة، مما يحتاج إلىٰ تأويل؛ بل المراد به المتشابه في الرسم والوارد بألفاظ متماثلة أو متقاربة، فالآيات المتشابهات تمثل وجهاً من وجوه إعجاز النظم الكريم؛ لما تحويه من الأسرار البيانية، والنُّكَتِ البلاغية، فهذه الآيات يتقارب تشكيلها الظاهري، وتتسع آفاقها الدلالية المتنوعة.

المبحث الأول ـ التصريف والتكرار

مما لا يخفىٰ علينا اختلاف العلماء في تسمية المصطلح المناسب في توجيه الآيات المتشابهات، فمنهم من يسمّيه «تكراراً»، أو يطلق عليه مصطلحاً مرادفاً له، كالتكرير، والترديد، والترداد، ومنهم من يسمّيه «تصريف القول» أو يدعوه تنوعاً أو تفنناً، مع تقارب كبير في مدلولات هذه المسميات، وعلىٰ ضوء ما سبق تتساءل الباحثة:

ما المقصود بـ «التصريف» لغة واصطلاحاً؟ وما المقصود بـ»التكرار» لغة واصطلاحاً، وما هي الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات والمصطلحات المشابهة لها، وما هو المصطلح الأنسب من بين هذه المصطلحات في مجال

(1) البرهان في علوم القرآن112/1.

(2) أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني ص25.

توجيه الآيات المتشابهات؟

المطلب الأول ـ التصريف والألفاظ المقاربة له:

الفرع الأول ـ التصريف لغة واصطلاحاً:

أولاً ـ التصريف لغة: يقول الخليل:» الصرف: فضل الدرهم في القيمة.... والتصريف: اشتقاق بعضٍ من بعضٍ، وصَيرفيّات الأمور: متصرفاتها أي تتقلب بالناس، وتصريف الرياح: تصرّفها من وجه إلىٰ وجه، وحالٍ إلىٰ حال... والصرف: أن تصرف إنساناً علىٰ وجهٍ يريده إلىٰ مصرف غير ذلك»[1].

وفي تهذيب اللغة «قال أبو عُبَيْد: صَرْفُ الحديث أن يزيد فيه ليُميل قلوب الناس إليه... ويقال: فلان لا يحسن صرف الكلام، أي: فضل بعض الكلام علىٰ بعض»[2].

وفي الصحاح» صرف الحديث: تزيينه بالزيادة فيه»[3]، ويرىٰ ابن فارس أن «الصاد، والراء، والفاء معظم بابه يدل علىٰ رَجْع الشيء، من ذلك صرفت القوم صرفاً وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا.... قال أبو عبيد: صرف الكلام: تزيينه والزيادة فيه، وإنما سمّي بذلك؛ لأنه إذا زُين صرف الأسماع إلىٰ استماعه»[4]، وعند ابن الأثير»أراد بصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة علىٰ قدر الحاجة»[5].

وفي اللسان «الصّرف: رَدُّ الشيء علىٰ وجهه»[6]، وفي القاموس المحيط «صرف الحديث: أن يُزاد فيه ويُحسَّن... وصرفه يصرفه: ردَّه»[7].

(1) العين109/7، 110، (مادة: صرف).
(2) تهذيب اللغة 114/2، (مادة: صرف).
(3) الصحاح1386/4، (مادة: صرف).
(4) مقاييس اللغة 342/3، 343، (مادة: صرف).
(5) النهاية في غريب الحديث24/3.
(6) لسان العرب189/9، (مادة: صرف).
(7) القاموس المحيط ص827، (مادة: صرف).

وقال الزبيدي: «وقيل الصرف: الزيادة والفضل، وليس هذا بشيء... وصَرَفَه عن وجهه يَصرِفه صَرْفاً: ردَّه فانصرف... والتصريف: إعمال الشيء في غير وجهٍ كأنه يصرفُه عن وجه إلى وجه»[1]، وفي التصريف معنى البيان « قال الزجاج: تصريف الآيات تبيينها»[2].

فمما تقدم يتبين لنا أن التصريف لغة لا يخرج من كونه ردّ الكلام بعضه من بعض، واشتقاق بعضه من بعض، وتزيينه والزيادة فيه، وتبيينه.

ثانياً ـ التصريف اصطلاحا: من الإشارات التي في المعاني اللغوية للتصريف، وبالرجوع إلى كتب التفسير في معنى لفظة التصريف في القرآن الكريم يمكننا أن نتعرف على المعنى الاصطلاحي له:

قال أبو علي: «فمعنى ﴿صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾[3]: صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به والتفكر فيه... وقال: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[4] أي: وما يزيدهم تصريف القول إلاّ نفوراً»[5].

وقال الرماني: «التصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب»، ويعد الرماني من أول من تحدّث عن التصريف[6].

وقال ابن فورك: «التصريف: تصريف الشيء دائر في الجهات»[7]، وبين في موضع آخر الفرق بين توصيل القول وبين تصريفه فقال:» إن تصريف القول تصييره في جهات من المعاني المختلفة، وتوصيله: تصيير بعضه يلي بعضاً

(1) تاج العروس12/24، 14، 22، (مادة: صرف).
(2) العين114/12، (مادة: صرف).
(3) سورة الإسراء، من الآية:41.
(4) نفسها.
(5) الحجة للقراء السبعة432/3.
(6) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ص25.
(7) تفسير ابن فورك199/1.

بحسب ما تقتضيه المعاني المختلفة»[1].

وقال الثعلبي: «سمعت أبا القاسم الحسن يقول: بحضرة الإمام أبي الطيب لقوله: ﴿صَرَّفْنَا﴾ معنيان أحدهما: لم يجعله نوعاً واحداً؛ بل وعداً ووعيداً، وأمراً ونهياً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاًومنسوخاً، وأخباراً وأمثالاً، مثل: تصريف الرياح من صبا ودبور، وجنوب وشمال، وتصريف الأفعال من الماضي إلىٰ المستقبل، ومن الفاعل إلىٰ المفعول ونحوها، والثاني: لم ينزله مرة واحدة؛ بل نجوماً مثل قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾[2] ومعناه أكثرنا صرف جبريل إليك»[3].

وعند الماوردي «فيه وجهان: أحدهما: كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال. الثاني: غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها»[4].

ويرىٰ السمعاني أنّه في معنىٰ صرفنا «قولان: أحدهما: تكرير الأمر والنهي، والمواعظ، والقصص، والآخر: تبيين القول بجميع جهاته، ... وقيل: تصريف القول في الأمر والنهي»[5].

ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾[6]: «يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلىٰ الله البنات؛ لأنه مما صرفه الله وكرّر ذكره، المعنىٰ: ولقد صرفنا القول في هذه المعنىٰ، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير»[7]، وعند ابن عطية «تصريف القول هو ترديد البيان عن المعنىٰ»[8].

وقال الرازي: «اعلم أنّ التصريف في اللغة: عبارة عن صرف الشيء من جهة

(1) تفسير ابن فورك:355/1.
(2) سورة الإسراء، من الآية:106.
(3) الكشف والبيان عن تفسير القرآن101/6.
(4) النكت والعيون244/3.
(5) تفسير السمعاني243/3.
(6) سورة الإسراء، من الآية:41.
(7) الكشاف669/2.
(8) المحرر الوجيز484/3.

إلى جهة، نحو تصريف الرياح، وتصريف الأمور، هذا هو الأصل في اللغة، ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين؛ لأنَّ من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر، ومن مثال إلى مثال آخر؛ ليكمل الإيضاح، ويقوي البيان»[1].

وعقد له ابن أبي الأصبع باباً، وعنونه بالتصرف، فعرفه فقال: «وهو أن يأتي من قوة الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطوراً بلفظ الإيجاز، وآونة بلفظ الإرداف، وحيناً بلفظ الحقيقة.... ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوة الشاعر وقدرته، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتّى من البلاغة ما بين الإيجاز، والإطناب واختلاف معاني الألفاظ، وشهرة ذلك تغني عن شرحه»[2].

وعند القرطبي «التصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير، وقيل: المغايرة، أي غايرنا بين المواضع؛ ليذكّروا ويعتبروا ويتّعظوا»[3].

وقال أبو حيان: «ومعنى صرّفنا: نوّعنا من جهة إلى جهة، ومن مثال إلى مثال»[4]، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[5]: «أي مثل هذا التصريف والترديد والتنويع ننوّع الآيات ونردّدها، وهي الحجج الدالة على الوحدانية، والقدرة الإلهية التامة»[6].

وقال الألوسي: «وأصل التصريف ـ كما قال علي بن عيسى ـ إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة، من الصرف وهو نقل الشيء من حال إلى حال،

(1) التفسير الكبير 345/20.
(2) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر 582/1، 583.
(3) الجامع لأحكام القرآن 264/10.
(4) تفسير البحر المحيط 52/7.
(5) سورة الأعراف، من الآية: 58.
(6) تفسير البحر المحيط 81/5.

وقال الراغب التصريف كالصرف إلاّ في التكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حال إلى حال، وأمر إلى أمر»[1]، ويقول في موضع آخر: «ولقد صرفنا كررنا ورددنا على أساليب مختلفة توجب زيادة تقرير ورسوخ»[2].

ويقول محمد رشيد في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾[3]: «أي انظر كيف نُنَوِعُ الحجج والبينات الكثيرة، ونجعلها على وجوه شتى؛ ليتذكروا ويقتنعوا، فينيبوا ويرجعوا»[4].

وعند ابن عاشور «والإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾[5] إلى تفنن الاستدلال بالدلائل الدالة على عظيم القدرة المقتضية الوحدانية... فذلك تصريف أي: تنويع وتفنين للآيات أي: الدلائل»[6].

وبعد هذا العرض لأقوال المفسرين يتضح لنا جلياً معنى التصريف، و سأختم بتعريف النقراط الذي يعد أول باحث صدع في بحثه بمصطلح: تصريف القول، ودافع عن استعماله، ورجحه على بقية المصطلحات المستعملة في هذا الشأن[7]، فقد جمع في هذا التعريف خلاصة ما تقدم من تعريفات؛ إذ قال: «أن تصريف الآيات هو تنويعها، وعرضها بطرائق شتى، وصور مختلفة، حسب السياق الواردة فيه تلك الآيات، وهو أيضاً تنويع المعاني والأساليب، والانتقال من معنى إلى آخر، ومن أسلوب إلى آخر، في روعة من الانسجام والتماسك البديع، والتفنن الدقيق، الذي لا نظير له في بيانه، وهو أيضاً التفنن في أداء المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة؛ وذلك لتقرير أصول العقيدة، وعرض أدلتها، وإيراد القصص والأمثال، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والتشريع والأحكام، والأوامر

(1) روح المعاني 234/4.
(2) المصدر نفسه 159/8.
(3) سورة الأنعام، من الآية: 46.
(4) تفسير القرآن الحكيم 349/7.
(5) سورة الأعراف، من الآية: 58.
(6) التحرير والتنوير 186/8.
(7) تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى ـ عليه السلام ـ ص2.

والنواهي، وما إلى ذلك مما صرف القرآن بيانه»[1].

وبالنظر في أقوال المفسرين في معنى التصريف في القرآن الكريم يمكننا أن نتعرف على المصطلحات المقاربة لهذه اللفظة وهي: التنوع، والبيان والإيضاح، والتفنن، والتكرار والتكرير، والترداد والترديد، ونرى أن منها ما هو قريب من التصريف، ويعد مرادفاً له كالتفنن والتنوع، ومنها ما هو إلى التكرار أقرب كالترداد والترديد والإعادة، وعلى ضوء ما تقدم ستقسم الباحثة المصطلحات إلى قسمين قسم يندرج تحت مطلب التصريف، وقسم يندرج تحت مطلب التكرار.

الفرع الآخر ـ ما يحمل معنى التصريف:

أولاً ـ التنوع: النوع الضرب من الشيء، «قال الليث: النوع والأنواع جماعةُ كُلِّ ضرب وصنف من الثياب والثمار والأشياء حتى الكلام»[2].

والتنويع من معاني التصريف، قال أبو حيان: «ومعنى صرفنا: نوعنا من جهة إلى جهة، ومن مثال إلى مثال»[3]، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[4]: «أي مثل هذا التصريف والترديد والتنويع ننوّع الآيات ونردّدها، وهي الحجج الدالة على الوحدانية، والقدرة الإلهية التامة»[5].

وتصريف الآيات: هو تنويعها في المعنى الواحد، أو الموضوع الواحد، وعرضها بصور شتّى وأساليب مختلفة؛ وذلك لتقرير أصول العقيدة، وعرض أدلتها، وبيان الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية، وعظيم القدرة الإلهية، وإثبات البعث والجزاء، والنبوة والرسالة، وإيراد القصص والأمثال، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشرائع، والأحكام، والأوامر والنواهي، وما إلى

(1) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم9/1، 10.
(2) تهذيب اللغة 139/3، 140، ولسان العرب364/8، (مادة: نوع).
(3) تفسير البحر المحيط52/7.
(4) سورة الأعراف، من الآية: 58.
(5) تفسير البحر المحيط81/5.

ذلك مما صرف القرآن بيانه[1].

إن أسلوب التنويع في كتاب الله ـ تعالىٰ ـ لا يعني التكرار، وإن ظنّه بعض الباحثين ـ للوهلة الأولىٰ ـ أنّه نوعٌ من التكرار؛ بل هو من خصائص الخطاب القرآني، ومن أساليب تصريفه البلاغي، وضروريات بيانه الربَّاني المشتمل علىٰ البراهين والأدلة والهداية والإرشاد، ووسيلة من وسائل فهمه وتدبره[2].

يقول ابن الزبير: «الكلامُ إذا تنوّعَ حرَّكَ الخواطرَ إلىٰ تفهُّمِهِ»[3].

ثانياً ـ التفنن: «الفَنُّ: الحال، والفُنونُ: الضُّرُوبُ، يُقال: رعينا فنونَ النّبات، وأَصَبنا فُنُونَ الأموال، ويجمع علىٰ أَفْنانٍ أيضاً.... وأَفانينُ الشَباب: أوائلُهُ، ويقال: الأفانين: أشياء مختلفة، مثل، ضُروب الرِّياح، وضُروب السَّيل، وضروب الطّبخ، ونحوها. والرّجل يُفَنِّنُ الكلامَ، أي: يَشْتَقُّ في فَنٍّ بعْدَ فَنٍّ، والتَّفَنُّنُ فِعْلك»[4].

وَيُقَال: «فَنّن فلانٌ رَأْيَه، إِذا لَوّنه وَلم يَثْبت علىٰ رَأْي وَاحِد، ورَجَلٌ مِفَنٌّ مِعَنٌّ: ذُو فُنون من الْكَلَام وَاعْتِرَاض وعنَن»[5]، والفنون: الأنواع، والأفانينُ: الأساليبُ، وهي أجناس الكلام وطرقه[6]، «وافْتَنَّ الرَّجُلُ فِي كَلَامِهِ وَخُصُومَتِهِ إِذا تَوَسَّعَ وَتَصَرَّفَ»[7].

وقال ابن قتيبة عند حديثه عن فوائد التكرار: «إن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلىٰ شيء أحسن من اقتصاره في المقام علىٰ فن واحد»[8].

(1) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 27/1.
(2) مصطلح الفتنة في القرآن الكريم تنوعه ودلالاته ومقاصده وأبرز سماته ص16.
(3) ملاك التأويل 108/1.
(4) العين 371/8، 372، (مادة: فن).
(5) تهذيب اللغة 335/15، (مادة: فن).
(6) ينظر: الصحاح 2177/6، (مادة: فنن).
(7) لسان العرب 326/13، (مادة: فنن).
(8) تأويل مشكل القرآن ص335.

ويرىٰ البيضاوي أن التفنن في الكلام من سنن العرب وعاداتهم إذ قال: «ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلىٰ آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فيعدل من الخطاب إلىٰ الغيبة، ومن الغيبة إلىٰ التكلم وبالعكس»[1].

ويقول الشهاب الخفاجي:» والتفنن والافتنان: الإتيان بفنون، وأنواع من الكلام وهو أعمّ من الالتفات لشموله اختلاف وجوه الإعراب في النعوت المقطوعة»[2]، وذكر الشاطبي التفنن في علم فنون البلاغة، والخوض في وجوه الفصاحة، والتصرف في أساليب الكلام[3].

وقال ابن عاشور مبيناً معنىٰ التفنن: «ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فن إلىٰ فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلىٰ المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه»[4].

وبالجملة التفنن في التعبير لم يزل دأب البلغاء، وفيه من الدلالة علىٰ رفعة شأن المتكلم ما لا يخفىٰ، والقرآن الكريم مملوء من ذلك، ومن رام بيان سر لكل ما وقع فيه منه فقد رام ما لا سبيل إليه إلا بالكشف الصحيح والعلم اللّدنّي[5].

إن التفنن في مسائل مختلفة منتظمة في سلك موضوع واحد من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المدهشة التي لم تسبق لبليغ، ولن يبلغ شأوه فيها بليغ، والقرآن ليس كتاباً فنياً فيكون لك مقصد من مقاصده باب خاص به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالإنسان من شأن من شؤونه إلىٰ آخر، ويعود إلىٰ مباحث

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل29/1.
(2) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي112/1، 113.
(3) ينظر: التفسير والمفسرون427/2.
(4) التحريروالتنوير116/1.
(5) روح المعاني269/1.

المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع التفنن في العبارة، والتنويع في البيان[1].

من هنا يمكن القول: «إن التفنن هو تنويع الألفاظ أو الأساليب في المعنى الواحد عدولاً عن التكرار، وتنويع الألفاظ يندرج فيه: تغاير المفردات أو صيغها، وتنويع الأساليب يندرج فيه: تغاير التراكيب والصور»[2].

المطلب الثاني ــ التكرار وما قاربه من ألفاظ:

الفرع الأول ــ التكرار لغة واصطلاحاً:

أولاً ــ التكرار لغة: التكرار لغة من مصدر كرر، يقول الخليل: «والكرُّ: الرجوع عليه ومنه التكرار»[3].

ويقال: «كرّرت عليه الحديث وكركرته: إذا رددته عليه»[4]، وجاء في مقاييس اللغة: «الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد الذي ذكرناه»[5].

وفي الصحاح، «الكرُّ: الرجوعُ ... وكررت الشيء تكريراً وتكراراً ... وتكركر الرجل في أمره، أي: تردّد، والكركرة: تصريف الرياحِ السحابَ، إذا جمعته بعد تفرّق»[6]، ويقول الزركشي: «هو مصدر كرر إذا ردّد وأعاد»[7].

وبالنظر والتأمل فيما تقدم يتقرر أن التكرار هو الرجوع، وهو إعادة الشيء مرة بعد أخرى.

ثانياً ــ التكرار اصطلاحاً: قال ابن الأثير: «أما التكرير فإنه دلالة على المعنى

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم240/1، 357/2.
(2) حمل المتشابه على التفنن (تفسير الألوسي أنموذجاً) ص258.
(3) العين277/5، (مادة: كرر).
(4) تهذيب اللغة328/9، (مادة: كر)
(5) مقاييس اللغة126/5، (مادة: كرر).
(6) الصحاح805/2، (مادة: كرر).
(7) البرهان في علوم القرآن8/3.

مردداً»[1]، وذكره في موضع آخر في النوع السابع عشر، فقال: «هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً»[2].

وقال عنه الزركشي: «وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر.... وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به»[3].

وفي «التعريفات»: «التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى»[4].

وفي خزانة الأدب وغاية الأرب «إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض»[5].

وقال عنه ابن عابدين: «هو ذكر الشيء مرة بعد أخرى»[6] ثم ذكر فوائده فقال: «واعلم أن للتكرير فوائد: منها التقرير، ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمةَ ليكملَ تلقّي الكلامِ بالقبول، ومنها إذا طال الكلام وخُشِيَ تناسي الأولِ أعيدَ ثانياً تطريةً له وتجديداً لعهده»[7].

الفرع الآخر ـ الألفاظ المقاربة للتكرار:

هناك ألفاظ قريبة من التكرار نحو الإعادة والترداد والترديد، على أن هناك فروقًا دقيقة بينها وبين التكرار وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً ـ الفرق بين الإعادة والتكرار: قد فرق أبو الهلال العسكري بينهما فقال: «أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات، والإعادة للمرة

(1) المثل السائر218/2.
(2) المصدر نفسه3/3.
(3) البرهان في علوم القرآن10/3.
(4) التعريفات65/1.
(5) خزانة الأدب وغاية الأرب361/1.
(6) التقرير في التكرير ص3.
(7) المصدر نفسه ص46.

الواحدة، ألا ترىٰ أن قول القائل: أعاد فلان كذا لا يفيد إلاّ إعادته مرة واحدة، وإذا قال: كرر كذا كان كلامه مبهماً لم يُدرَ أعاده مرتين أو مرات، وأيضاً فإنه يقال: أعاده مرات ولا يقال: كرّره مرات إلاّ أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام، ولهذا قال الفقهاء: الأمر لا يقتضي التكرار، والنهي يقتضي التكرار ولم يقولوا الإعادة»[1].

وعلىٰ هذا فإن التكرار والتكرير يقتضيان إعادة الشيء مرة أو إعادته مرات، وأن الإعادة إنما تكون للمرة الواحدة فقط.

ثانياً ـ الفرق بين الترديد والتكرار: يرىٰ ابن فارس أن الترديد هو التكرار[2]، وعند ابن رشيق «الترديد وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنىٰ، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنىٰ آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه»[3].

وقال الخفاجي: «وذهب قوم أيضاً إلىٰ حسن الترديد وهو لأن يعلق الشاعر لفظة في البيت بمعنىٰ ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنىٰ آخر... وهذا عندي لا تعلق له بالنقد؛ لأن التأليف في هذا الترديد كسائر التأليف في الألفاظ التي لا تستحق به حمداً ولا ذماً، ولا يكسبها حسناً ولا قبحاً»[4].

وذكر الزوزني الترديد في معنىٰ الرجع فقال: «الرجع: الترديد والتجديد»[5]، وفي شمس العلوم «الترديد: ردد الكلام: أي كرره»[6]، وعند ابن الأثير» الترديد: أي أن اللفظة الواحدة ردّدت فيه»[7].

وبيّن ابن أبي الأصبع الفرق بين الترديد والتكرار بعد ما عرفه بما عرفه ابن

(1) الفروق اللغوية ص39.
(2) ينظر مقاييس اللغة126/5، (مادة: كرر).
(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه33/1.
(4) سر الفصاحة284/1، 285.
(5) شرح المعلقات السبع ص175.
(6) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم2365/4.
(7) المثل السائر ص248.

رشيق والخفاجي فقال: «والفارق بين الترديد والتكرار أن اللفظة التي تتكرر في التكرار لا تفيد معنىً زائداً؛ بل الأولىٰ هي تبيين للثانية، وبالعكس، واللفظة التي تتردد تفيد معنىً غير معنىً الأولىٰ منهما، واشتقاقهما مشعر بذلك؛ لأن الراد من وجه لا يبلغ إلا الموضع الذي أراده، والكار هو الذي انتهىٰ إلىٰ الموضع المراد وكر راجعاً»[1].

وفي الطراز لأسرار البلاغة «الترديد تفعيل من قولهم: ردّد الثوب من جانب إلىٰ جانب، وردّد الحديث ترديداً، أي: كرّره، ومعناه في مصطلح علماء البيان أن تُعَلِّقَ اللفظةَ بمعنىً من المعاني ثم تردّها بعينها وتعلّقها بمعنىً آخر»[2]، وفي القاموس المحيط «الترداد: الترديد»[3].

قال ابن حجة الحموي معلقاً علىٰ قول ابن أبي الأصبع السابق في الفرق بين الترديد والتكرار: «والذي أقول: إن الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر، ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة، لانحطاط قدرهما عن ذلك، ولولا المعارضة ما تعرضت لما في بديعيتي، ولكن ذكر زكي الدين ابن أبي الأصبع بينهما فرقًا فيه بعض إشراق، وهو أن اللفظة التي تكرر في البيت، ولا تفيد معنىً زائدًا، بل الثانية عين الأولىٰ هي التكرار، واللفظة التي يرددها الناظم في بيته تفيد معنىً غير معنىً الأولىٰ هي الترديد، وعلىٰ هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها إلىٰ التكرار، ويتحلىٰ بشعارها، وعلىٰ هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع، أعني الترديد»[4].

المبحث الثاني ـ موقف العلماء من التصريف والتكرار:

قد شاع مصطلح التكرار في كتب التفسير وعلوم القرآن عند توجيه الآيات المتشابهات علىٰ العكس تماماً من مصطلح التصريف الذي لم ينل حظه،

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ص254، 255.
(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز47/3.
(3) القاموس المحيط282/1، (مادة: رد)
(4) خزانة الأدب وغاية الأرب 359/1.

ولم يأخذ حقه من الاهتمام، والعناية الكافية التي تليق به بالدراسة في كتب المتقدمين، مع وجود بعض الإشارات والأقوال المتناثرة هنا وهناك في كتب التفسير والإعجاز قديماً وحديثاً، وعند دراستي للآيات المتشابهات وجدت أن العلماء إزاء قضية التصريف والتكرار في القرآن على قسمين:

القسم الأول: يستخدم لفظ التكرار ويدافع عنه، ويعتبره سحر بيان، فعده من الأساليب البلاغية، والظواهر البيانية، وأنه من محاسن الفصاحة[1]، وراح يبرهن عليه ببراهين من كلام العرب، فهو تكرار مقصود هادف له أغراضه وفوائده، حتى وإن كانت الظاهرة الحقيقية التي تكمن وراءه هي التنويع في أساليب التعبير، والتعدد في دلالات المعنى؛ وفاءً بحاجة المعنى حسب السياق، وليس التكرار المحض بالمعنى المفهوم من اللفظ فهذا حسب وصفهم لا ينفي صحة التسمية[2].

وأذكر منهم الجاحظ فعلى الرغم من أنه أشار إلى بعض مساوي التكرار والترداد، كالسآمة والملل، حين قصّ ما حصل بين ابن السماك وجاريته، عندما سألها: «كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أَحْسَنَهُ، لولا أنّك تكثر ترداده. قال: أردّدُهُ حتى يفهَمَه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه»[3].

ثم ذكر أنه مكتوب في التوراة: «لا يُعَادُ الحديثُ مرّتين» ونقل قول الزهري: «إعادة الحديث أشدُّ من نقل الصخر»، وقول بعض الحكماء: «من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك»[4].

نجده بعد ذلك يرى أن الترداد يكون على قدر المستمعين، واستشهد عليه بتكرار القصص في القرآن فقال: «وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن3/9.
(2) ينظر: مسالك الكشف عن مقاصد القرآن من خلال الأسلوبية (التكرار نموذجاً) ص257.
(3) البيان والتبيين1/105.
(4) ينظر: نفسه.

من العوام والخواص، وقد رأينا الله - عز وجل - ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود. وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب»[1].

وأذكر منهم أيضاً ابن قتيبة الذي عقد في كتابه باباً لتكرار الكلام والزيادة فيه، فبعد أن بين سبب تكرار الأنباء والقصص[2] قال: «وأما تكرار الكلام من جنس واحد بعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3]، وفي سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4]، فقد أَعْلَمتُك أن القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرارُ: إرادة التوكيدِ والإفهامِ، كما من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء أحسنُ من اقتصاره في المقام على فن واحد»[5].

ثم ذكر عدداً من الآيات المتشابهات فقال: «كلُّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كُرِّر به اللفظ»[6]، وقال في موضع آخر: «وأما تكرار﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنه عدد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين؛ ليفهمهم النعم ويقررهم بها»[7].

وأذكر أيضاً أبا هلال العسكري الذي قال في قوله تعالى:﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا

(1) البيان والتبيين 105/1، 106.
(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص232.
(3) سورة الكافرون، الآية:1.
(4) سورة الرحمن، الآية:13.
(5) تأويل مشكل القرآن ص335.
(6) المصدر نفسه ص236.
(7) المصدر نفسه ص239، وينظر: الصناعتين ص194.

﴿ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(1): «فتكرير ما كرّر من الألفاظ ههنا في غاية حسن الموقع، وقيل لبعضهم: متىٰ يحتاج إلىٰ الإكثار؟ قال: إذا عَظُمَ الخطبُ»(2).

وقال أيضاً: «وقلّما تجد قصة لبنىٰ إسرائيل في القرآن إلا مطوّلة مشروحة ومكرّرة في مواضع معادة؛ لبُعد فهمهم كان، وتأخّر معرفتهم، وكلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسّط؛ ليستدلّ بالقصد علىٰ العالي، وليخرج السامع من شيء إلىٰ شيء فيزداد نشاطه وتتوفّر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام إيجازه وإطنابه، حتىٰ استعملوا التكرار ليتوكّد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير، فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(3)، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾»(4).

ويرجّح ابن فارس أحد الوجوه التي قيلت في سبب تكرار القصص بعد أن قرر أن من سُنن العرب التكرير والإعادة، وأخذ يستشهد علىٰ ذلك بأقوال الشعراء فقال: «فأما تكرير الأنباء والقِصَص في كتاب الله - جل ثناؤه - فقد قيلت فيه وجوه، وأصح ما يقال فيه أن الله - جل ثناؤه - جعل هذا القرآن وعجْزَ القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ثم بيَّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القِصَّة في مَواضِعَ إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عَبَّرَ. فهذا أولىٰ ما قيل في هذا الباب»(5).

وهذا ابن رشيق يرىٰ أن « للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلُّ،

(1) سورة الأعراف، الآيات97ـــ 99.

(2) الصناعتين ص192.

(3) سورة التكاثر، الآيتان:3، 4.

(4) الصناعتين ص193، والآيات من سورة الشرح، الآيتان:5، 6.

(5) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص158.

فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً، فذلك الخذلان بعينه.... ومن المعجز في هذا النوع قول الله - تعالى - في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] كلما عدّد منة أو ذكّر بنعمة كرّر هذا»[2].

وها هو الزركشي يفرد للتكرار قسماً، ويذكره في القسم الرابع عشر تحت عنوان: «التكرار على وجه التأكيد» ويدافع عنه فيقول: «وقد غَلِطَ من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظَنًّا أَنَّهُ لَا فائدة له، وَلَيْسَ كذلك؛ بل هو من محاسنها لاسيما إِذَا تَعَلَّقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وذلك أَنَّ عادة العرب في خطاباتها إِذْ أَبْهَمَتْ بِشَيْءٍ إِرَادَةً لِتَحْقِيقِهِ وَقُرْبَ وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كَرَّرَتْهُ تَوْكِيدًا، وَكَأَنَّهَا تُقِيمُ تَكْرَارَهُ مقام الْمُقْسَمِ عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباتُه جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأنّ الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلاّ تكرار المواعظ والقوارع»[3]، ثم ذكر فوائد التكرار واستشهد عليه بالآيات التي ورد فيها ذكر التصريف، وقال بعد ذلك: «واعلم إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل أما إذا وافق الأصل فلا»[4].

وتبعه السيوطي فذكر التكرار في النوع الرابع فقال: «وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة.

خلافاً لبعض من غلط، وله فوائد....»[5].

ونجد الرافعي ينتصر للتكرار ويرى فيه العجب فيقول:» وههنا معنى دقيقَ

(1) سورة الرحمن، الآية:13.
(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه 73/2ـــ75.
(3) البرهان في علوم القرآن9/3.
(4) المصدر نفسه11/3.
(5) معترك الأقران في إعجاز القرآن258/1.

في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجباً: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قَصَصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب؛ وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم: للتهويل، والتوكيد، والتخويف والتفجع وما يجري مجراها من الأمور العظيمة؛ وكل ذلك مأثورٌ عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة، بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته ...؛ لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صورٍ كل منها غير الأخرى وجهاً أو عبارة، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون، فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز وأشدُّ عليهم في التحدي... وقد خفي هذا المعنى (التكرار) على بعض الملحدة وأشباههم، ومن لا نَفَاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو- أخزاهم الله - كان أروعَ وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها»[1].

القسم الآخر: الذين رفضوا أن يعترفوا بالتكرار في القرآن الكريم، ويرون نفيه البتّة عن كتاب الله، فتكرار اللفظ لا يعد تكراراً، وإنما هو تصريف للقول، وتصريف للبيان، وتنويع، وافتنان في الكلام، تنزيهاً للقرآن، واحترازاً من عيوب التكرار ومساويه؛ كالحشو، والقبح، والكراهة، وحصول السآمة والملل[2].

ويعد الرماني أول من تحدث عن التصريف، وعده قسماً من أقسام البلاغة، وبين أن فيه بياناً عجيباً حين قال: «وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب،

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص134، 135.

(2) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم51/1.

يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهر وتدل عليه»، ثم ذكر الحكمة من التصريف في القصص القرآني[1].

وقد سار الباقلاني على نهجه، فأشار إلى التصريف إشارة عابرة، وذكره ضمن أقسام البلاغة العشرة، التي اتبع فيها نفس التقسيم والترتيب الذي اختاره الرماني[2]، وقد تأثر الباقلاني بفكرة الرُّمَّاني، التي ذهب فيها إلى أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة[3].

وقد نفى الغزالي التكرار عن القرآن نفياً قاطعاً بدلالة السياق فقال «والمقصود أن لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه، لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته»[4].

ومنهم ابن الأثير الذي تحدث عن التصريف ومعناه، ولكنه عبرّ عنه بغير لفظه، واستخدم لفظ التكرار بدلاً منه حيث جعل النوع السابع عشر من كتابه في التكرار، أي: «تكرار المعاني والألفاظ» فقال عنه: «واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ»[5]، وبعد أن عرفه[6] قسمه إلى قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ، ثم بين أن كل قسم منهما ينقسم إلى قسمين: مفيد وغير مفيد، وقال: «ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة... بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى»[7].

وبعد أن استشهد ببعض الآيات المتشابهات، وبين فائدة التكرير فيها، تبع

(1) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم57/1، 85.
(2) ينظر: إعجاز القرآن ص272، وبلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 59/1.
(3) أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني ص18.
(4) جواهر القرآن ص68، والمفيد في أصول التفسير ص191.
(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر3/3.
(6) ينظر: ص12 من هذا البحث.
(7) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر4/3.

الغزالي بقطعه في نفي التكرار غير المفيد في القرآن الكريم فقال: «وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه»[1]، فهنا نجده استخدم لفظ التكرار ولكنه قصد التصريف.

وذكره ممن جاء بعدهم ابن أبي الأصبع كما تقدم[2] عند الحديث عن معنى التصريف، وذكره أيضاً في كتابه «بديع القرآن» في باب الاقتدار[3]، فبعد أن عرف التصريف قال: «وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن العزيز، فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صورة مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعدّدة حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه، ولابد أن تجد الفرق بين صُوَرِها ظاهراً»[4].

ومنهم البقاعي الذي يرى نفي التكرار عن القصص في القرآن حيث قال: «وقلّما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته - عليه الصلاة السلام - إلا معقبة بقصص موسى - عليه السلام - وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد والمعاني والأخبار حتى لا تجد قصة تتكرر وإن ظن ذلك من لم يمعن النظر، فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر إلا ولو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها[5].

وقال في تأويل القصص في سورة الأعراف: «واعلم أنه لا تكرير في هذه القصص فإن كل سياق منها لأمر لم يسبق مثله»[6]، وبهذا القول يتبين لنا التزامه

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 8/3.
(2) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر582/1، 583.
(3) ينظر: تصريف المعاني في القرآن الكريم ص60.
(4) بديع القرآن ص 290.
(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور4/14.
(6) المصدر نفسه70/8.

بمنهج النظر فيما يقتضيه السياق والقصد، كما بان في موضع آخر إذ قال: «فاقتضت حكمته أن يكون هذا الذكر جامعاً لكونه ختاماً، وأن يكون معجزاً لكونه تماماً، ونزله على حسب التدريج شيئاً فشيئاً، مكرراً فيه ذكر القصص سابقاً في كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك السورة، معبراً عما يسوقه منها بما يلائم الغرض من ذلك السياق مع مراعاة الواقع، ومطابقة الكائن»[1].

هذا ما وقفت عليه مما ذكر المتقدمون عن التصريف، وقد استعمل هذا المصطلح من المحدثين محمد عبد العظيم الزرقاني حيث جعله الخاصية الخامسة من خصائص أسلوب القرآن فقال: «براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام ومعنى هذا: أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة تنقطع في حَلَبَتِهَا أنفاسُ الموهوبين من الفصحاء والبلغاء»[2].

وتحدث محمد أبو زهرة عن التصريف في مباحث عديدة من كتابه «المعجزة الكبرى» وتناوله بشيء من التفصيل عمن سبقه في هذا الباب فذكره تحت عنوان:» تصريف البيان» فقال: «أما القرآن المعجز الذي هو فوق قدرة البشر، فإنَّ البلاغة فيه في كل أبواب القول، وهي في كل باب تعلو علوًّا كبيرًا عن المجيدين في هذا الباب وحده، ولذلك كان تصريف القول فيه من تهديد وإنذار وتبشير، وإثارة للتأمل، ودعوة للتفكير في آيات الله -تعالى- الكونية والقرآنية، والتفكير في النفس وفي الحس، كل ذلك من دلائل الإعجاز وسره»[3].

ثم ذكر أغلب الآيات التي ورد فيها لفظ التصريف، وبين الغاية من تصريف القول في القرآن الكريم على ضوء تلك الآيات وختم بقوله: «وبهذه النصوص الكريمة تبيَّنَ أنَّ القرآن كان يصرف الآيات، بمعنى أنه يتضمَّن الأمر بالتوحيد والتكليفات الشرعية التي بها صلاح المجتمع وتكوين مدينة فاضلة تحترم فيها حقوق الإنسان احترامًا كاملًا، بأوجه مختلفة من البيان، من تهديد وإنذار، إلى

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 96/14.
(2) مناهل العرفان318/2.
(3) المعجزة الكبرى ص115، 116.

تبشير وتوبيخ واستنكار، ودعوة إلى التأمل في خلق الله تعالى، وفي القول ومناهج التأثير، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وإنَّ التصريف في القرآن الكريم على ضربين: أحدهما في المعاني، وثانيهما: في الألفاظ والأساليب، فأمَّا التصريف في المعاني فإن المؤدَّى في جملته يكون واحدًا في عدة مواضع، ولكن لها في كل مرة عبرة، وهذا تصريف في المعاني وإن كانت الألفاظ تختلف أو تتقارب أو تتحد العبارات في بعض الأحيان»[1].

وذكره أيضاً في مواضع أخرى، منها ما جاء تحت عنوان: «التكرار في القرآن»[2]، ومنها ما جاء في بيان قصص القرآن من الناحية البيانية[3]، ومنها ما جاء في بيان أن قصص القرآن لون من تصريف بيانه[4]، ومنها ما جاء تحت عنوان: «التصريف في صور العبارات القرآنية»[5]، وكان في كل مرة يصل إلى أن ذلك التكرار من تصريف القول الذي هو وجه من وجوه البيان القرآني.

وقال في موضع آخر نافياً التكرار عن القرآن: «وقد ادَّعى بعض العلماء التكرار في مواضع في القرآن، وعلله بما لا يتنافى مع إعجاز القرآن الكريم؛ بل إنَّه من دلائل الإعجاز؛ إذ إن تكرار المعنى الواحد بعبارات مختلفة في مواضع مختلفة مع جمال الألفاظ والجمل في مواضعها المختلفة، كأن يكرر المعنى في قصة في سور مختلفة، وكل عبارة معجزة في ذاتها، ويتحدَّى بها في نغمها وموسيقاها وألفاظها وجملها، وعجز العرب عن أن يأتوا بأي عبارة منها دليل على كمال الإعجاز في جملته وفي أجزائه، ونحن نرى أنَّه لا تكرار في عبارات القرآن بمعنى أن يكرر المعنى من غير حاجة إليه؛ بل ذكرنا أنه إذا تكرَّر لفظ أو معنى، فإنما يكون ذلك لمناسبة جديدة، ويكون عدم ذكر ما يدّعي فيه التكرار

(1) المعجزة الكبرى ص116، 117.
(2) ينظر: المصدر نفسه ص119.
(3) ينظر: المصدر نفسه ص121.
(4) ينظر: المصدر نفسه ص139.
(5) ينظر: المصدر نفسه ص157.

إخلالًا، وذلكم مستحيل على كتاب الله -تعالى-»[1].

ولم تتوقف جهود محمد أبي زهرة عند هذا الحد؛ بل نجده يتحدث عن التصريف في تفسيره «زهرة التفاسير» حيث قال: «وقد قال بعض العلماء في تصريف القرآن: لم يجعله نوعا واحدا؛ بل وعداً ووعيداً ومحكماً ومتشابهاً وأخباراً وأمثالاً، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال، وهكذا كان التصريف من أسرار الإعجاز وهو أعلى درجات البلاغة وأسرارها، وإنك وأنت تقرأ القرآن وهو مأدبة الله تعالى تنتقل فيها من طيب سائغ إلى طيب سائغ، في حلاوة طعم، وجمال منظر وكله هنيء مريء، لأنه مائدة رب العالمين»[2].

ويقول محمد قطب نافياً التكرار عن القرآن: «الظاهرة الحقيقية ليست التكرار، وإنما هي التنويع... لا يوجد نصان متماثلان في القرآن كله، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الأخوة والأقارب، لكنه ليس تكراراً بحال من الأحوال»[3].

وينضم إليهم نور الدين عتر حيث قال: «وتارة يكون التكرار مع اختلاف في نظم الجملة، أو إيجاز أو إطناب أو نحو ذلك، وذلك يبرز سراً من أسرار إعجاز القرآن، وهو التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من أسلوب دون أن ينال تكرار المعنى من سموّ الأسلوب وإعجازه، بينما لا يخلو كلام البشر في مثل هذا الحال من تفاوت بين الأسلوبين واختلاف مستوى الأداءين، وذلك من جملة تصريف البيان في القرآن الذي ذكره القرآن في مناسبات متعددة... وحقيقة التصريف: «إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به»، وبهذا التصريف المعجز حقق القرآن هدفا عظيما هو خطاب الناس كافة، من تكفيه الإشارة والموجز من القول، ومن لا يسد خلل فهمه إلا التفصيل وهكذا تنوع أسلوب القرآن، وقد لفت هذا التصريف المعجز أنظار البلغاء وراحوا يكشفون

(1) المعجزة الكبرى ص230.

(2) زهرة التفاسير 4388/8.

(3) دراسات قرآنية ص254، 255.

ما في كل موقع من سرّ بلاغي، وإعجاز بياني، حتى في الكلمة الواحدة تختلف بها العبارة من موقع إلى موقع، ونشأ عن هذا الغرض الأخير فنّ جليل دقيق هو «متشابه القرآن اللفظي»، صنّف فيه العلماء عدة كتب»[1].

وقد وردت إشارات عند الأستاذ أبي زيد في كتابه «التناسب البياني في القرآن الكريم» عن تصريف القول في القرآن الكريم، كما أنه عقد بحثاً بعنوان: «مصطلحات بيانية في القرآن الكريم»، وكان تصريف القول من بين هذه المصطلحات، وخلص من هذه الدراسة إلى أن في القرآن مصطلحات بيانية دقيقة يجب إحياؤها واستعمالها في الدراسات القرآنية والبيانية والأسلوبية عموما[2].

وهذا النقراط يسير على خطى أستاذه أبو زيد، فخصّ بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم بالدراسة، والبحث، تأصيلاً لمسائله، وكشفاً عن أسراره، وإظهاراً لمحاسنه، كما بين ذلك في مقدمة كتابه «بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم» حيث قال: «إن هذا الموضوع الذي خصصته بالدراسة، لم ينل من عناية الباحثين ما يستحقه من الدراسة التي تبرز خصائصه المعنوية والأسلوبية، بل اتجهت دراستهم نحو مصطلحات التكرار، والترداد، والمتشابهات، والوجوه والنظائر، محاولين أن يجدوا مبرراً لكثرة ورود الآيات المناظرة، وكثرة المعاني والأساليب المتشابهة؛ للرد على الملحدين والطاعنين في القرآن الكريم، ولم ينتبهوا إلى المصطلح الصحيح، الذي كان عليهم أن يوجهوا الآيات من خلاله... إن تعميم مصطلح التكرار وإغفال التمييز بينه وبين مصطلح التصريف القرآني أمر ليس مقبولاً عند التحقيق والنظر، فيما يراه من يدّعي التكرار من جميع الجوانب»[3].

فكان هذا الكتاب استدراكاً على ما فات المفسرين والبلاغيين وهو استمرارهم في استخدام مصطلح التكرار، وعدم إحياء مصطلح التصريف في الدراسات

(1) علوم القرآن الكريم ص250.

(2) ينظر: التناسب البياني، لأحمد أبي زيد، ص: 81، وبلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 63/1.

(3) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم11/1، 12.

القرآنية عامة، وفي دراسة الآيات المتشابهات خاصة، كما سأبين ذلك عند إيراد الأمثلة.

ولم تتوقف جهوده عند هذا الحد، فلقد كان لمصطلح تصريف القول حظ وافر في مصنفات النقراط، إذ إننا نجده منتشراً بكثرة في العديد من كتبه مثل كتاب «من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه»، وكتاب «تصريف الترغيب والترهيب في القرآن الكريم دلالاته وأساليبه ومقاصده» ، وكتاب «تصريف الحمد لله ولا إله إلاّ هو في القرآن الكريم ومقاصدهما»، ولكنه يبرز بروزاً كبيراً في كتابه «بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم»، فبلاغة تصريف القول هي عصب هذا الكتاب من مفتتحه حتىٰ منتهاه.

ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه في عرضه ومنهجه، كما أشار إلىٰ ذلك الدكتور امحمد محمد صافي المستغانمي في كتابه «تصريف القول في القصص القرآني» حيث قال: «وفضل هذه الرسالة أن صاحبها أول باحث صدع في بحثه بمصطلح: تصريف القول، ودافع عن استعماله، ورجحه علىٰ بقية المصطلحات المستعملة في هذا الشأن»[1]، ويعد النقراط بهذا الصنيع من الذين أثروا البحث في مصطلح التصريف القرآني، وأولاه عناية، وزاده بياناً وإيضاحاً[2].

وهذا الاستاذ محمود توفيق حذا حذوا النقراط في الدفاع عن لفظ التصريف وإيثاره علىٰ غيره، في زمن غير بعيد عن الزمن الذي ألف فيه النقراط كتابه: «بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم»، ولست أدري هل أفاد من النقراط أم لا، ولكن يحسب له دفاعه عن هذا اللفظ، ونفيه التكرار عن القرآن عندما قال: «وعلىٰ هذا يكون جديرًا بمن يقوم للإبحارِ في قَمامِيسِ التأويل البياني للقرآن الكريم أن يكون علىٰ ذكرٍ من أنَّ البيان القرآنيَّ خلا من التكرار التأكيديّ الذي لا يضفي جديدًا حميدًا علىٰ ما سبق تأسيسه، وأن يكون علىٰ ذكر من أنَّ البيان

(1) تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسىٰ - عليه السلام - ص2

(2) ينظر: مصطلح الفتنة في القرآن الكريم ص18.

القرآنيَّ ذو خصيصتين عظيمتين:

الأولىٰ: خصيصة تناسل المعنىٰ القرآنيّ وتصاعده.

والأخرىٰ: خصيصة التصريف البياني.

هاتان الخصيصتان أراهما من أشمل خصائص الإعجاز البياني للقرآن الكريم من بعد خصيصة إقامة الشعور بجلال القائل في قلب المتلقي المعافي من داء الغفلة»[1].

وقال أيضاً معقباً علىٰ قول البقاعي الذي نقله وتصرف فيه فلم أجده بنصه في «نظم الدرر»: «يقول عن علم التناسب: «وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأنّ كلّ سورة أعيدت فيها قصة فلمعنىٰ أدعىٰ في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنىٰ الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنىٰ الذي تكونت به القصة»، وهذا من البقاعيّ أصل عظيم من أصول التأويل البيانيّ للقرآن الكريم، ناظر إلىٰ منزل السياق والغرض المنصوب له الكلام في فقه المعنىٰ وتذوق البيان، ودالٌّ علىٰ أنّ البيان القرآنيّ لا يقوم فيه تكرار عقيم بل هو إلىٰ التصريف البياني في تصوير المعاني مما يمنح المتلقي فيضًا من العطاء الدلالي يدفع عنه غائلة الملل والسأم، فهو البيان الذي لا يخلق علىٰ كثرة الرّد، ولا تنتهي عجائبه»[2].

ثم نجده يخصص المَعْلَمَ العاشر من الفصل الثاني لـ«تأويل التصريف البياني(متشابه النظم)»، فيذكر ما أوردته آنفاً من أن البيان القرآني قائم علىٰ أصلين وهما: تصاعد المعني في السياق، والتصريف البياني لأصول معاني الهدي في القرآن الكريم فيقول: «هذان الأصلان حاضران في البيان القرآنيّ حضورًا لا

(1) الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم ص314.

(2) المصدر نفسه ص349.

تغيب أو تغيم شواهده الباهرة القاهرة، والأصل الثاني (التصريف البيانيّ) قد لقي بعض حقه من كثير من العلماء وصنِّفت فيه أسفارٌ، وقد عرف عند أهل العلم بـ«متشابه النّظم»، والحقّ أنَّ «التصريف البيانيّ» عندي أوسع مجالا من «متشابه النظم»: متشابه النظم أذهب إلى أنّه يجدر به أن يكون مصطلحا لما تشابه من البيان في علاقاته النظمية من تقديم وتأخير وفصل ووصل وذكر وحذف في بناء الجملة أو الآية أو المعقد أو السورة أي التشابه الذي مناطه السمات النَّظمية التي هي علاقات نحوية بين معاني الكلم في بناء الجملة (النظم النحوي: التركيبي)، والذي مناطه السمات النظمية التي هي علاقات سياقية بين معاني الجمل في بناء الآية أو بين معاني الآيات في بناء المعقد أو معاني المعاقد في بناء السورة ... (النظم السياقي: الترتيبيّ).

والتصريف البيانيّ يشمل هذا مضمومًا إلى التشابه الذي مرده اختيار كلمة مكان أخرى (انفجرت: انبجست) (قضى: كتب) (حلف: أقسم) (خاف: خشي) (سنة: عام) (زوج: امرأة) (أنزل: نزّل) (نجّى: أنجى) .... إلخ ما هو معروف عند العلماء بالتصريف في اختيار الكلمات وصيغها»[1].

ونجده انتهج هذا النهج في أغلب مؤلفاته حيث آثر لفظ التصريف البياني عن غيره، ومن هذه المؤلفات «شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية»[2]، و«العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة» حيث قال فيه: «وتصريف المعاني في القرآن الكريمِ وجه من وجوه بلاغة المعجزة كما نص على ذلك الأقدمون، وهذا التصريف للمعاني ينفى عنها وصف التكرار والإعادة؛ لأنَّه تصريفٌ منبثِقٌ عن المقصود الأعظم لكل سورة، وأكثر ما يكون جلاء ذلك التصريف في القصص القرآنيّ حتى كان القول بالتصريف البياني فيها مما شاع ذكره في أسفار أهل العلم... والنظر البيانيّ في مثل هذا مصروفٌ إلى ملاحظة بناء المعنى الكليّ من المعاني الجزئية الماثلة في

(1) الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم ص406، 407.
(2) ينظر: ص88.

الجملة القرآنية على اختلاف مقاديرها إيجازًا وبسطًا، وهو نظر لا يرى في هذا تكرارا؛ بل يراه من قبيل التتميم والتكميل الذي هو وجه من وجوه التصريف؛ لأنَّ كلَّ معنى كليٍّ من تلك المعاني مكمّلٌ ومتممٌ لما قاربه في سورة سابقة على سورته، وهذا التتميم إنَّما يكون بجديد يتناغَى مع السياق الذى أقيم فيه»[1].

وذكره أيضاً تحت عنوان: «تكرار أو تصريف نمط تركيبي في سياق السورة» وبين أن «التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها في سياق السورة الواحدة، وهو ما يعرف بمشتبه النظم في السورة الواحدة... وهذا الضرب جدير باسم التصريف؛ لما فيه من تصريف في العبارة هو آية على تصريف في المعنى مما يَصْرِفُه عن استحقاق اسم التكرار»[2].

ومنهم فاضل صالح السامرائي الذي ينفي التكرار عن القصص القرآني فيقول: «فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من مواطن العبرة والاستشهاد»[3].

ومنهم عبد العزيز بن صالح العمار الذي كتب بحثاً عن تصريف المعاني في القرآن الكريم تحدث فيه عن التصريف وأهميته في الدراسات البلاغية التطبيقية في القرآن الكريم، وأنه وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فضلاً على كون التصريف لفظة قرآنية، وذكر حِكم تصريف المعاني، وموقف المشركين من تصريف آيات القرآن الكريم، وموقف المؤمنين منها، وذكر أيضاً علاقة تصريف الآيات بإعجاز القرآن، وتصريف آيات القرآن الكريم في كتب البلاغيين، فقد تناول هذا المصطلح بتوسع تنظيراً وتطبيقاً، تنظيراً ببيان المراد به، وجهود العلماء فيه، وإشارات المفسرين إليه، وتطبيقاً من خلال آيات التصريف نفسها.

(1) العزف على أنوار الذكر ص85، 86.
(2) العزف على أنوار الذكر ص92ـ93.
(3) التعبير القرآني ص283.

ومما يؤخذ عليه أنه تغافل عن جهود النقراط في إبراز مصطلح التصريف وإيثاره على غيره من المصطلحات المنافسة له في الاستخدام، فلم يذكره من ضمن الجهود التي تحدث عنها، حتى وإن اتفق معه في آخر بحثه حيث قال: «كما أني أفضل أن ينص في مثل هذه الموضوعات صراحة على التصريف، فإنها لفظة قرآنية، تكررت في مواضع متعددة من القرآن الكريم، كما أن هذا التصريف منهج قرآني كذلك»[1].

ويقول أيضاً عن المؤلفات التي تحدثت عن التصريف: «وهذه المؤلفات مع أهميتها وجليل نفعها، إلاّ أن فيها شيئاً من النقص والقصور، وذلك أنها تنطلق في دراستها من الآية والآيتين اللتين وقع فيهما التشابه دون الالتفات إلى سياق كل آية، واختلاف مقام كل آية عن الأخرى، ودون الإشارة إلى موضوع كل آية، ودون ضم النظير إلى نظيره، للوقوف على المعاني التي تم تصريفها، والتنوع في بيانها، والتفنن في ذكرها في تناول الموضوع المتحدث عنه، وينسحب هذا الحكم على نوع آخر من هذه الدراسات قريب منها، وهو دراسة التشابه اللفظي في القرآن الكريم، ومع ما تضمنته هذا النوع من الدراسات من الفائدة والجدة، إلاّ أنها ضيقت دائرة الدراسة، وحصرت التشابه وأوجه الاختلاف في الألفاظ وتشابهها بناء على تغير المقامات، واختلافها، وارتباط كل لفظة بالغرض التي جاءت لتحقيقه، وبالمعنى الذي جاءت الآية لبيانه وإيضاحه، وإلا فإن دائرة الدراسة أوسع وأشمل، وما الألفاظ إلاّ جزء من التصريف»[2].

وإني لأرى ما أورده النقراط في كتابه بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم

(1) تصريف المعاني في القرآني الكريم ص68، لعله استفاد من جهود النقراط في كتابه بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، فهناك تشابه كبير بينهما بدءاً من عنوان بحثه الذي استخدمه النقراط في أغلب كتبه وبحوثه، مروراً بأغلب المباحث التي وردت فيه، ووصولاً إلى الاتفاق معه في آخر بحثه، وخصص النقراط فصلاً في كتابه من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه ص15 وما بعدها: الفصل الأول بعنوان: من تصريف صور المعاني في القرآن الكريم ومقاصدها. ولعل عنوان البحث مستفاد من هذا الفصل.

(2) تصريف المعاني في القرآن الكريم ص65، 66.

وفي كتبه الأخرىٰ المتعلقة بالتصريف قد استدرك هذا النقص وعوض هذا القصور.

وأشار عبد العظيم المطعني إلىٰ التصريف عندما تحدث عن الخصائص التي يغلب عليها جانب الألفاظ فقال:» هذا تصريف القرآن في القول بحسب المقام. ولكل مقام مقال، فترىٰ كل لفظة وقعت موقعها، بحسب السياق، وبحسب ما يناسب كل حالة من حالات المخاطبين، فما من موضع مما ذكرنا نلمس فيه مداهنة أو ليونة، أو تقصيراً في أي جانب من جوانب القول، قوة وفخامة في الألفاظ، ورهبة وعنفاً في المعاني»[1].

وذكر التكرار في موضع آخر وقصد التصريف فقال:» وتكرار القرآن في جميع هذه المواضع التي ذكرناها، والتي لم نذكرها، مما يُلحظ عليها سمة التكرار في هذا كله يباين التكرار القرآني ما يقع في غيره من الأساليب؛ لأنّ التكرار وهو فنَ قولي معروف، قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب فيكون هدفاً للنقد والطعن؛ لأن التكرار رخصة في الأسلوب- إذا صح هذا التعبير - والرخص يجب أن تؤتىٰ في حذر ويقظة»[2].

ثم ذكر وظيفة التكرار في القرآن فقال: «مع هذه المزالق كلها جاء التكرار في القرآن الكريم محكماً، وقد ورد فيه كثيراً - فليس فيه موضع قد أخذ عليه - بله دعاوىٰ المغالين فإن بينهم وبين القرآن تارات فهم له أعداء - وإذا أحسنا الفهم لكتاب الله فإن التكرار فيه - مع سلامته من المآخذ والعيوب - يؤدىٰ وظيفتين:

أولاهما: من الناحية الدينية.

ثانيتهما: من الناحية الأدبية.

فالناحية الدينية - باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع - لا يخلو منها فن من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر،

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية270/1.

(2) المصدر نفسه322/1.

وتوكيده وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين، أما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدىٰ إلىٰ تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان، وليكن حديثنا عنه علىٰ حسب المنهج الذي أثبتناه في صدر هذا البحث»[1].

وأشار إليه أيضا في موضع آخر بطريقة السؤال والجواب فقال: لماذا اختلفت أساليب الحكاية والمحكي عنه واحد؟[2].

ودافع امحمد صافي المستغانمي عن مصطلح تصريف القول وآثره علىٰ غيره من المصطلحات بعد أن وصفه فقال:» وهناك مصطلح دقيق ومغمور هو مصطلح تصريف القول. هو مصطلح دقيق؛ لأن آيات القرآن الكريم نطقت به في مواطن عديدة، ومغمور؛ لأنه لم يأتِ ذكره في كتابات الأقدمين...»[3].

فبعد أن ذكر المصطلحات التي جرت علىٰ ألسنة المفسرين والباحثين، وشاع استعمالها في مؤلفاتهم وهي التفنن والافتنان والتنويع والتكرار والتشابه وبيّن مفهوم كل مصطلح، رجّح مصطلح التصريف عليها فقال:» ولقد ترجح لديّ، بعد البحث والتنقيب ومصاحبة كثير من المصطلحات، أن مصطلح تصريف القول هو أدق المصطلحات وأدلها علىٰ ما نحن بصدده من تنويع طرق العرض اللغوي، والتفنن البياني في توصيل المضمون للقارئ، وهذا ليس محض ادعاء، إنما هو رأي صواب تعضده الأدلة»[4]، ثم ذكر بعد ذلك الأدلة التي كان من بينها أن التصريف مصطلح قرآني، واتبعه بما ورد في القرآن من آيات، ثم بما تحمله معنىٰ مادة (صرف) في القرآن، وبأقوال المفسرين فيها[5]، فكان من الذين استفادوا من جهود النقراط وأشادوا بها.

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية322/1.

(2) ينظر: المصدر نفسه365/1، 366.

(3) تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسىٰ عليه السلام ص13.

(4) المصدر نفسه ص26.

(5) ينظر: المصدر نفسه ص27ـ 30.

وذكره الباحث بومدين هواري عندما بيّن الفرق بين المتشابه والتكرار وتصريف القول وخلص في دراسته إلى أن التصريف من الأنواع التي تدخل تحت مسمى التكرار حيث قال:» إذا أعيد الكلام فاتفق لفظه ونظمه فهو تكرار محض ليس للمتشابه منه شيء، وإذا أعيد فاختلف نظمه دون لفظه فهو متشابه، وإذا أعيد فاختلف لفظه ونظمه فهو تصريف بياني، فكل الأنواع تدخل في مسمى التكرار، والعلاقة بينها علاقة عموم وخصوص»[1].

ومنهم الباحث سالم فرج أبو خطوة الذي تناول في التمهيد لأطروحته المصطلحات التي تتعلق بالتنوع القرآني، ووصل إلى أن مصطلح تصريف القول هو الاستعمال المناسب لكتاب الله ـ تعالى ـ وهو أدق الألفاظ في الدلالة على تنوع آياته، ويرى أن اختلاف العلماء في إطلاق لفظ التكرار في القرآن الكريم لا يبدو جوهرياً؛ فهم متفقون في تنوع دلالات الألفاظ التي تضيف للكلام معاني جديدة، وتؤدي إلى بلاغة أسلوبها، وإعجاز تصريفها، وتنفي عنها التكرار المَعيب الذي لا فائدة منه، وهو ما يدل على أنه خلاف اصطلاحي لفظي[2].

المبحث الثالث ـ نماذج مختارة من الآيات المتشابهات:

يقوم هذا المبحث على الموازنة بين من استخدم لفظ التكرار في توجيه الآيات المتشابهات، وبين من استخدم لفظ التصريف في توجيهها مع ذكر رأي كل فريق، وبيان الرأي الراجح، وما هو أليق بكتاب الله -عزّ وجلّ-، وسأختار بعض النماذج التي اشتركوا في توجيهها، وهذه الأمثلة التي ستذكر ليست مقصودة بالبحث هنا، بمعنى أن التوجيهات المنقولة عن كتب توجيه المتشابه أو غيرها ليس المقصود من إيرادها البحث في صحتها، وذكر المناقشات الواردة عليها ونحو ذلك؛ لأن هذا البحث التفصيلي لتوجيهات كل مثال بخصوصه أمر يطول البحث باستقصائه بما يُخرج عن المقصود.

(1) السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني دراسة في رحاب التكرار ص106.

(2) ينظر: مصطلح الفتنة في القرآن الكريم ص20، 25.

المثال الأول ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

القائلون بالتكرار، أو من استخدم لفظه في توجيه الآيتين:

لنبدأ بمن بدأ التصنيف في توجيه الآيات المتشابهات، ألا وهو الخطيب الإسكافي في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» الذي صرح في مقدمته أن مثل هذه الآيات توصف بالتكرار[3]، ولكن القصد من تأليف كتابه دفع هذه الشبهة عن القرآن الكريم حين قال:» ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً وصار المبهم المتشابه، وتكرار المتكرر تبياناً، ولطعن الجاحدين رداً»[4]، ولكنه يؤخذ عليه كما يؤخذ على غيره أنه لم يستعمل اللفظ الصحيح، ألا وهو التصريف، فقال عند توجيهه لهذه الآيات:» للسائل أن يسأل عن فائدة تكرار هذه الآية، وله أن يسأل فيقول: لِمَ كان جواب من يشرك بالله في الآية الأولى ﴿ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾، وجوابه في الآية الثانية ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾؟

فأما الجواب عن التكرار؛ فلأن هذه السورة لما اشتمل صدرها على ذكر الأحكام، وانتهى إلى ذكر التيمم، ثم انقطع ذلك بقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[5]، وهم اليهود الذين أوتوا التوراة فحرفوا ما فيه دلالة على صحة نبوة محمد -ﷺ-، إلى ما يدعو إلى ترك الإيمان به، ثم توعدهم إن أقاموا على الكفر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا ﴾[6]، أتبع ذلك ما دل على عظم الكفر الذي هو الشرك، وذلك في أمر

(1) سورة النساء، الآية: 48.
(2) نفسها، الآية:116.
(3) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ص7.
(4) المصدر نفسه ص8.
(5) سورة النساء، من الآية:44.
(6) نفسها، من الآية:47.

اليهود،... والموضع الثاني تقدمت فيه آية هي قوله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]، ومعناه من عادىٰ الرسول بعد ما ظهرت آياته وتظاهرت دلالاته، وتبع سبيل الكفار، فإن الله يولّيه ما تولّىٰ من الأصنام التي عبدها بأن يكله إليها ليستنصر بها، ولا نصر عندها، وهؤلاء مشركو العرب، فدلّ علىٰ أن من تقدم ذكرهم وإن كانوا أوتوا الكتاب كهؤلاء المشركين الذين لا كتاب لهم كفرهم ككفرهم وسبيلهم كسبيلهم، فأعاد ذكر عظم الشرك توعداً لصنف آخر من الكفار لم يدخلوا في جملة من تقدم ذكرهم، ليعلم أنهم وإن خالفوهم ديناً، فقد وافقوهم كفراً، فهذه فائدة التكرار»[2].

وقال الزمخشري: «﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ تكرير للتأكيد، وقيل: كرر لقصة طعمة»[3].

وقال الرازي: «اعلم ان هذه الآية مكررة في هذه السورة، وفي تكرارها فائدتان: الأولىٰ: أن عمومات الوعيد، وعمومات الوعد متعارضة في القرآن، وأنه -تعالىٰ- ما أعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين، وقد أعاد هذه الآية دالة علىٰ العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتفقوا علىٰ أنه لا فائدة في التكرير إلاّ التأكيد، فهذا يدل علىٰ أنه تعالىٰ خصّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد، وذلك يقتضي ترجيح الوعد علىٰ الوعيد.

والفائدة الثانية: أن الآيات المتقدمة إنما نزلت في سارق الدرع، وقوله:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾إلىٰ آخر الآيات إنما نزلت في ارتداده، فهذه الآية إنما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد أن ذلك السارق لو لم يرتد لم يصر محروما عن رحمتي»[4].

(1) نفسها، من الآية:115.
(2) درة التنزيل وغرة التأويل 79، 80.
(3) الكشاف 565/1.
(4) التفسير الكبير220/11، 221.

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين كالبيضاوي[1]، والخازن[2]، وأبي السعود[3]، والشوكاني[4]، والألوسي[5]، والقاسمي[6]، والقنوجي[7]، وتتبعها نجد أن أغلبهم حذا حذوا الزمخشري، وقال بقوله، ومنهم من اكتفى به، ومنهم من زاد عليه شرحاً وتوضيحاً.

وقال ابن عثيمين: «وكررها الله مرتين في هذه السورة، وكان بين الآيتين ذكر قتل النفس، وقد مر أن أهل العلم قالوا: إن قاتل النفس له توبة، واستدلوا لذلك بأن الله ذكر قتل النفس بين آيتين كلتاهما تدل على أن ما سوى الشرك فالله ـ تعالى ـ يغفره»[8].

القائلون بالتصريف والنافون لصفة التكرار:

قال أبو يحيى زكريا الأنصاري:» ختم الآية مرَّة بقوله: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾، ومرَّة بقوله: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾، ولا تكرارَ فيه وإن اشتركا في الضلال؛ لأن الأول نزل في اليهود، والثاني في كفارٍ لا كتاب لهم، وخصَّ ما نزل في «اليهود» بالافتراء، لأنهم حرَّفوا وكتموا ما في كتابهم وذلك افتراء، بخلافه في الكفار الذين لا كتاب لهم»[9].

وقال محمد عبده: «تقدم صدر هذه الآية في هذه السورة وتتمتها هنا: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾، وتقدمها هنالك إثبات ضلال أهل الكتاب وتحريفهم ودعوتهم إلى الإيمان بما أنزل الله على نبيه مصدقاً لما معهم، فقد بين

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل97/2.
(2) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل428/1.
(3) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم233/2.
(4) ينظر: فتح القدير595/1.
(5) ينظر: روح المعاني143/3.
(6) ينظر: محاسن التأويل340/3.
(7) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن241/3.
(8) تفسير القرآن الكريم 233/2.
(9) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ص115، 116.

لهم أن اتباع الرسول فيما جاء به والتسليم له درجات، فمنها ما تغلب النفوس على مخالفته نزوات الشهوة، وثورات الغضب، ثم يعود صاحبه ويتوب، فهذا مما تناله المغفرة، وأما التوحيد الذي هو أساس الدين فلا يُغفر الميل عنه إلى ضرب من ضروب الشرك، والآيات التي قبل هذه الآية تفيد أن السياق هنا كالسياق هناك، فأعادها لذلك المقصد وهو بيان أن مشاقة الرسول ومخالفته إنما تكون بالخروج عن التوحيد، والوقوع في الشرك؛ لأن التوحيد روح الدين وقوامه، فالمناسبة هنا تقتضي أن يعاد هذا المعنى، وهو إعادة تنادي البلاغة بطلبها، ولا تعد من التكرار الذي قالوا: إنه ينافي البلاغة، فإن هذا إنما يتحقق إذا كان المخاطبون قد فهموا منك معنى تمام الفهم كما تريد، ثم ذكرته لهم بعبارة لا تزيدهم فائدة، ولا تأثيراً جديداً، ولا تمكيناً للمعنى، وإنما ما يفيد شيئاً من هذا الذي ذكرناه فهو الذي تقتضيه البلاغة»[1].

وتعقب محمد رشيد رضا أستاذه محمد عبده بقوله: «إن هذا يقال على تقدير كون القرآن يوجه إلى كل فرد من أفراد المكلفين، وأنهم جميعهم يسمعونه ويتلونه كله، ويتذكرون عند كل سياق ما يناسبه في غيره، وإذا أنت تذكرت أن الله -تعالى- يعلم أن الأمر لا يكون كذلك، وأنه يسمع هذا السياق الذي جاءت فيه هذه الآية من لم يكن سمع ذلك السياق الذي جاءت فيه الأخرى، سواء كان ذلك في الصلاة أو غير الصلاة، فإنك تجزم بأنه لا محل لجعل هذه الآية من التكرار الذي يفرون منه؛ لأنه في هذه الحال يكون من قبيل ذكر الشاعر لمعنى من المعاني في قصيدتين يمدح في كل واحدة منهما رجلاً غير الذي يمدحه في الأخرى، وعلى هذا لا يتجه قول جمهور المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم: إن هذا التكرار للتأكيد، والتأكيد تُكأتُهم في تعليل كل تكرار، وإنما هذا على تقدير كون التكرار المحض منتقداً ومخلاً بالبلاغة، وقد علمت أنه ليس كذلك، بل هو ركن البلاغة الركين الذي لا يبلغ المتكلم مراده من النفس بدونه»[2].

(1) تفسير القرآن الحكيم 342/5.

(2) المصدر نفسه 342/5، 343.

وبتتبع هذه الأقوال نجد أن من نفى التكرار عنها حاول أن يوجهها إلى التصريف غير أنهم لم يصرحوا بذلك، وصرح النقراط بالتصريف في هذه الآيات عندما أوردها ضمن الأمثلة للتعقيبات القرآنية التي تبين النكت البلاغية والتناسب المعنوي بين كل تعقيب وما أعقب به، وإن غيره لا يحل محله، ولا يؤدي معناه، فهو الأنسب في موقعه، والأدق في أداء معانيه، فذلك من بلاغة القرآن وحكمة إعجازه، وتنوع تصريفه[1].

الترجيح:

على الرغم من أن التكرار كان قول جمهور المفسرين على ما بينت سابقاً، فإن الذي أراه هو تصريف للبيان القرآني الذي لا تكرار فيه، ومما يؤكد نفي التكرار:

1. من نفى التكرار استدل على ذلك بتوجيه الذين قالوا بالتكرار، فها نحن نجد ابن زكريا الأنصاري قد لخصّ ما قاله الخطيب الإسكافي في سبب اختلاف الجواب في الآيتين[2]، واحتج به على عدم وجود التكرار.
2. اختلاف سوابقهما ولواحقهما.
3. ومما يدفع التكرار عنها اختلاف سبب نزول الآيتين.
4. الآية الأولى كانت في اليهود والثانية كانت في الكفار.
5. القول المبني على مراعاة السباق واللحاق أولى من غيره، ما لم توجد حجة يجب إعمالها[3].

ومن تم أستطيع القول بأنه لا يوجد تكرار في هذه الآية أو غيرها؛ بل هو تصريف للقول، وأسأل الله ألاّ أكون خالفت الإجماع بهذا.

(1) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم1/ 335، 338.
(2) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ص80.
(3) المفيد في أصول التفسير ص169.

المثال الثاني ــ قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[1].

القائلون بالتكرار:

قال ابن عطية بالتكرار وبيّن وجوهه فقال: «وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تنبيها على استغنائه عن العباد، ومقدمة للخبر بكونه غنياً حميداً، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مقدمة للوعيد، فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة»[2].

ويتساءل الرازي عن فائدة التكرار، ويجيب بأن ذلك لتقرير ثلاثة أمور: الأول: تقرير كونه واسع الجود، والثاني: تقرير كونه غنياً لذاته عن الكل، والثالث: تقرير كونه -سبحانه وتعالى- قادراً على جميع المقدورات[3]، ثم قال بعد ذلك: «وإذا كان الدليل الواحد دليلاً على مدلولات كثيرة فإنه يحسن ذكر ذلك الدليل ليستدل به على أحد تلك المدلولات، ثم يذكره مرة أخرى ليستدل به على الثاني، ثم يذكره ثالثاً ليستدل به على المدلول الثالث، وهذه الإعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة؛ لأنّه عند إعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب المدلول، فكان العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى، فظهر أن هذا التكرير في غاية الحسن والجمال»[4].

وقال ابن جماعة: «ما فائدة تكرار ذلك عن قرب، جوابه: أن التكرار إذا كان

(1) سورة النساء، الآيات: 130 ــ 132.
(2) المحرر الوجيز 121/2، 122.
(3) ينظر: التفسير الكبير 239/11.
(4) نفسه.

لاقتضائه معاني مختلفة فهو حسن، وهذا كذلك، لأن الأولى بعد قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾؛ لأن له ما في السموات وما في الأرض فهو قادر على ذلك، ولذلك ختم لقوله تعالى:﴿ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾، والثانية: بعد أمره بالتقوى، فبين أن له ما في السموات وما في الأرض، فهو أهل أن يتقى، ولذلك قال تعالى:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾»[1].

وبين الخازن الفائدة من التكرير على حد وصفه، وهي أن لكل آية معنى تختص به، فذكر معاني قريبة من المعاني التي ذكرها الرازي وابن جماعة[2].

ومن يرى التكرار أيضا الشوكاني حيث قال: «وفائدة هذا التكرير: ليتنبه العباد على سعة ملكه، وينظروا في ذلك ويعلموا أنه غني عن خلقه»[3].

ويرى ابن عثيمين أنه تكرار مهم إذ قال: «﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا تكرار لكنه تكرار مهم، ففي الأول بيان غناه -عز وجل- عن خلقه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾، وفي الثاني: بيان مراقبته لخلقه، فالآية الأخيرة تتضمن التحذير من المخالفة، والأولى تتضمن الأمر بالموافقة»[4].

القائلون بالتصريف:

قال الخطيب الإسكافي: «للسائل أن يسأل في هذه الآيات عن مسألتين إحداهما عن تكرار قوله:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ثلاث مرات، والثانية عما يتبع المكرر في قوله في آية ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾، وفي أخرى ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾، والأولى لم يتبعها مثل ما أتبع الوسطى والأخيرة.

الجواب عن المسألة الأولى وهي التكرار، أنه إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكراراً، فالأول بعد الإذن للرجل والمرأة في أن يتفرقا بطلاق، وتسليتهما

(1) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ص141، 142.
(2) ينظر: لباب التأويل436/1.
(3) فتح القدير 603/1.
(4) تفسير القرآن الكريم314/2.

على الوصلة، بأنه هو الذي يغني المحتاج منهما وإن كان من قبل ذلك أغنى كل واحد منهما بصاحبه، فإنهما بعد الفرقة يرجوان الغنى من عنده؛ لأنه واسع الرزق، وواسع المقدرة، فإن لله ما في السموات وما في الأرض، وأرزاق العباد من جملتها، وأما الثاني: فإنه بعد قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ أي اتقوه فإنه واسع النعمة، والفضل والرحمة، وقد أوسعكم منها، ووصاكم ومن قبلكم بتقواه والاستجارة بطاعته من عقوبته، فإنكم إن عصيتم وكفرتم لم يكن بالله حاجة إلى طاعتكم، وإنما أنتم تحتاجون إليها والله غني حميد، فوجب عليهم طاعته؛ لأن له ما في السموات والأرض وهو غني بنفسه حميد؛ لأنه جاد بما استحمد به إلى خلقه من الإحسان إليهم والإنعام عليهم، فالمقتضي لذكره ما في السموات وما في الأرض في الثاني غير المقتضى له في الأول، والثالث: فلأنه لما ذكر أنه أوجب طاعته على من قبلهم وعليه؛ لأنه ملك ما في السموات وما في الأرض، وأنعم عليهم من ذاك ما حقت به العبادة، اقتضى ذاك أن يخبرهم عن دوام هذه القدرة له ... فقد بان أن ذلك ليس بتكرار»[1].

ونسب أبو حيان هذا القول للراغب بعد ان نقله بتصرف فقال: «قال الراغب: الأول: للتسلية عما فات، والثاني: أن وصيته لرحمته لا لحاجة، وأنهم إن كفروه لا يضروه شيئاً، والثالث: دلالته على كونه غنياً»[2]، وتبعه في هذه النسبة النقراط[3]، وأصل هذا الخلط راجع إلى الاختلاف في نسبة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل، فقيل إنه منسوب للراغب الأصفهاني، وقيل: إنه منسوب إلى الإمام فخر الدين الرازي، وقد تناول الدكتور مصطفى آيدين محقق درة التنزيل هذه المسألة بالتفصيل، ونقل جميع الآراء وأثبت بالأدلة نسبة كتاب درة التنزيل للعلامة الإسكافي.

(1) درة التنزيل وغرة التأويل ص82، 83.

(2) البحر المحيط 91/4، 92.

(3) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 342/1.

وقد صرح النقراط بالتصريف في هذه الآيات ونفى التكرار عنها فقال: «وفي إعادة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ تصريف للبيان، ففي كل مرة دلالة خاصة»[1]، وبعد أن نقل أقوال المفسرين قال: «إن ذلك من التصريف لا من التكرار؛ لأنهما وردت كل مرة دليلاً على ما استدل بها -سبحانه وتعالى- على قدرته العظيمة، وكلها في غاية الدقة والإحكام»[2].

الترجيح:

والذي تراه الباحثة أنه من تصريف القول لا من التكرار:

1. لأن الكلام أعيد لأسباب مختلفة، وكان في كل مرة يحمل دلالة خاصة، ومعنىً جديداً، وحالاً جديداً.
2. اختلاف التعقيبات فأعقبت كل آية بغير ما أعقبت به الأخرى.

المثال الثالث - قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾[3].

القائلون بالتكرار:

قال الطبري: «سيعلم هؤلاء الكفار المنُكرون وعيد الله أعداءه، ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم أكد الوعيد بتكرير آخر، فقال: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم على كفرهم به، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله، وأفضوا إلى ما قدّموا من سيئ أعمالهم»[4].

وقال الكرماني: «قيل: التكرار للتأكيد، وقيل: الأول للكفار، والثاني للمؤمنين، وقيل: الأول عند النّزع، والثاني في القيامة، وقيل الأول ردع عن الاختلاف، والثاني عن الكفر»[5].

(1) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 341/1.
(2) المصدر نفسه 342/1.
(3) سورة النبأ، الآيتان 4، 5.
(4) جامع البيان24/ 151.
(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص193.

وقال الزمخشري: «﴿كَلَّا﴾ ردع للمتسائلين هزؤا، و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنه واقع لا ريب فيه، وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك، ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد»[1].

وقال ابن عطية: «فظاهر الكلام أنه رد على الكفار في تكذيبهم، ووعيد لهم في المستقبل، وكرر الزجر تأكيداً، وقال الضحاك المعنى: ﴿كَلَّاسَيَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار على جهة الوعيد، ﴿ثُمَّكَلَّاسَيَعْلَمُونَ﴾: يعني المؤمنين على جهة الوعد»[2].

وذكر الرازي في تكرير الردع وجهان، الأول وافق فيه الزمخشري، والثاني أن ذلك ليس بتكرير، وذكر وجوهاً في توجيهه فقال: «أَحَدُهَا: قَالَ الضَّحَّاكُ الْآيَةُ الْأُولَى لِلْكُفَّارِ وَالثَّانِيَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ وَسَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنُونَ عَاقِبَةَ تَصْدِيقِهِمْ، وَثَانِيهَا: قَالَ الْقَاضِي: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْأَوَّلِ سَيَعْلَمُونَ نَفْسَ الْحَشْرِ وَالْمُحَاسَبَةِ، وَيُرِيدُ بِالثَّانِي سَيَعْلَمُونَ نَفْسَ الْعَذَابِ إِذَا شَاهَدُوهُ وَثَالِثُهَا: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ بَاعِثٍ لَهُمْ وَرَابِعُهَا: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَكَمَا جَرَى عَلَى كَفَّارِ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ بِمَا يَنَالُهُمْ فِي الْآخِرَةِ»[3].

ويجيب ابن الزبير من يسأل عن فائدة تكرر التهديد فيقول: «قد تقدم أن العرب متى تهمّمت بشيء أرادته لتحققه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكرارها مكان القسم عليه والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم وكأن مخاطباتهم جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وقد

(1) الكشاف 684/4.

(2) المحرر الوجيز423/5، 424.

(3) التفسير الكبير7/21، 8.

تقدم هذا وتقرر، وعلىٰ ذلك يجري ما ورد في هذا الوعيد»[1].

وممن يرىٰ أنه تكرار أبو حيان إذ قال:» وَهَذَا التَّكْرَارُ تَوْكِيدٌ فِي الْوَعِيدِ»[2].

القائلون بالتصريف:

قال الخطيب الإسكافي: «للسائل أن يسأل عن تكرار ذلك وفائدته؟ والجواب أن يقال إن الأول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرهم، والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم، وإذا لم يرد بالثاني ما أريد بالأول لم يكن تكراراً، وقيل: الأول توعد بالقيامة وهولها، والآخر توعد بما بعدها من النار وحرها»[3].

ويرىٰ النقراط أنه تصريف للبيان القرآني، ولا تكرار فيه وبيّن وجه ذلك فقال:» لأن الردع والوعيد الأول غير الثاني، سواء من حيث أبلغيته وشدته، كما ذهب إليه هؤلاء المفسرون، أو من حيث دخول ثم عليه التي تفيد العطف مع التراخي، دلالة علىٰ أن هذا الوعد سيتحقق لا محالة، وفي أجل يعلمه الله -عز وجل- ذلك أن الآية الثانية لما دخلت عليها ثم أصبح لها دلالة غير دلالة الأولىٰ؛ لأن لكل حرف في القرآن الكريم دلالته الخاصة في السياق الوارد فيه، ومما يؤكد نفي التكرار أيضاً، إذا كان المقصود بالأول غير الثاني»[4].

الترجيح:

والذي أميل إليه هو ما اختاره النقراط، وبيّن وجهَهُ الإسكافي، وهو أنه ليس تكراراً، وإنما هو تصريف للقول، ويترجح هذا القول من وجوه:

1. أنه لم يرد بالثاني ما أريد بالأول، ومتىٰ حصلت المغايرة انتفىٰ التكرار.

(1) ملاك التأويل 500/2.

(2) البحر المحيط384/10.

(3) درة التنزيل وغرة التأويل ص516.

(4) تصريف الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ص58.

2. أن التأسيس الذي يفيد معنىً آخر لم يكن حاصلاً من قبل، وهو خير من التأكيد؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على التأكيد[1].
3. أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره، مع فخامة المعنىٰ وجلالته، وعدم الإخلال بالفصاحة[2].
4. الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد[3].
5. توسط «ثم» بين العلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبين زماناً وخطراً[4].

المثال الرابع ـ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[5] وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[6] .

القائلون بالتكرار:

ممن يرىٰ التكرار ابن عطية حيث قال: «قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضا فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحض على ذكر أيادي الله وحسن خطابهم بقوله: ﴿ فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأن تفضيل آبائهم وأسلافهم تفضيل لهم»[7].

(1) ينظر: السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني دراسة في رحاب التكرار ص198.
(2) تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم) ص578.
(3) الكشاف684/4.
(4) تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم) ص578.
(5) سورة البقرة، الآيتان:47، 48.
(6) سورة البقرة، الآيتان:122، 123.
(7) المحرر الوجيز138/1.

ويرىٰ الرازي التكرار والتطابق وإن لم يصرّح بذلك إذ قال: «اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمَّا اسْتَقْصَىٰ فِي شَرْحِ وُجُوهِ نِعَمِهِ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ فِي شَرْحِ قَبَائِحِهِمْ فِي أَدْيَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾»[1].

وقال في موضع آخر مبيناً الحكمة من تقديم قبول الشفاعة علىٰ أخد الفدية في الآية الأولىٰ، وتقديم قبول الفدية علىٰ ذكر الشفاعة في الآية الأخرىٰ: «أَنَّ مَنْ كَانَ مَيْلُهُ إِلَىٰ حُبِّ الْمَالِ أَشَدَّ مِنْ مَيْلِهِ إِلَىٰ عُلُوِّ النَّفْسِ، فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ التَّمَسُّكَ بِالشَّافِعِينَ عَلَىٰ إِعْطَاءِ الْفِدْيَةِ، وَمَنْ كَانَ بِالْعَكْسِ يُقَدِّمُ الْفِدْيَةَ عَلَىٰ الشَّفَاعَةِ، فَفَائِدَةُ تَغْيِيرِ التَّرْتِيبِ، الْإِشَارَةُ إِلَىٰ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ»[2].

ويرىٰ البيضاوي أنه تكرار للمبالغة في النصح إذ قال: «لما صدّر قصتهم بالأمر بذكر النعم، والقيام بحقوقها، والحذر من إضاعتها، والخوف من الساعة وأهوالها، كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح، وإيذاناً بأنه فذلكة القضية والمقصود من القصة»[3].

وقال الخازن: «إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرىٰ توكيداً للحجة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمد -صلّىٰ الله عليه وسلّم-»[4].

ويرىٰ أبو حيان التكرار هنا علىٰ الرغم من أنه قام بتوجيه هذا التشابه، وذهب فيه إلىٰ ما ذهب إليه الإسكافي في توضيح معنىٰ الآيتين[5]، وإلىٰ ما ذهب إليه الرازي في توجيههما، وإن لم يشر إلىٰ ذلك، وزاد عليه بقوله: «وَجَاءَ هُنَا بِلَفْظِ الْقَبُولِ، وَهُنَاكَ بِلَفْظِ النَّفْعِ، إِشَارَةٌ إِلَىٰ انْتِفَاءِ أَصْلِ الشَّيْءِ، وَانْتِفَاءِ ما يترتب عليه، وبدئ هُنَا بِالْقَبُولِ؛ لِأَنَّهُ أَصْلٌ لِلشَّيْءِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَيْهِ، فَأَعْطَىٰ الْمُتَقَدِّمَ ذِكْرَ الْمُتَقَدِّمِ

(1) التفسير الكبير30/4.
(2) المصدر نفسه494/3.
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل104/1.
(4) لباب التأويل في معاني التنزيل43/1.
(5) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ص12.

وُجُودًا، وَأَخَّرَ هُنَاكَ النَّفْعَ إِعْطَاءً لِلْمُتَأَخِّرِ ذِكْرَ الْمُتَأَخَّرِ وُجُودًا[1].

وقال في موضع الآية الثانية: » كَرَّرَ نِدَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَا، وَذَكَّرَهُمْ بِنِعَمِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ، إِذْ أَعْقَبَ ذَلِكَ النِّدَاءَ ذِكْرَ نِدَاءٍ ثَانٍ يَلِي ذِكْرَ الطَّائِفَتَيْنِ مُتَّبِعِي الْهُدَى وَالْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْآيَاتِ، وَهَذَا النِّدَاءُ أَعْقَبَ ذكر تينك الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ. وَكَانَ مَا بَيْنَ النِّدَاءَيْنِ قَصَصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا صَدَرَ مِنْهُمْ، مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْكَذِبِ وَالتَّعَنُّتَاتِ، وَمَا جُوزُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَى ذَلِكَ، وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَحْشُوًّا بَيْنَ التَّذْكِيرَيْنِ وَمَجْعُولًا بَيْنَ الْوَعْظَيْنِ وَالتَّخْوِيفَيْنِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَنَظِيرُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ أَنْ تَأْمُرَ شَخْصًا بِشَيْءٍ عَلَى جِهَةِ الْإِجْمَالِ، ثُمَّ تُفَصِّلَ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ عَدِيدَةٍ، وَأَنْتَ تَسْرُدُهَا لَهُ سَرْدًا، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا هِيَ مُنْدَرِجَةٌ تَحْتَ ذَلِكَ الْأَمْرِ السَّابِقِ، وَيَطُولُ بِكَ الْكَلَامُ حَتَّى تَكَادَ تَتَنَاسَى مَا سَبَقَ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، فَتُعِيدَهُ ثَانِيَةً، لِتَتَذَكَّرَ ذَلِكَ الْأَمْرَ، وَتَصِيرَ تِلْكَ التَّفْصِيلَاتُ مَحْفُوفَةً بِالْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ بِهِمَا[2].

وبهذا بين لنا أبو حيان غرضان للإعادة هنا وهما: التوكيد، وأنه إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانية تذكيراً به وتجديداً لعهده.

ويرى ابن كثير أن هذا تكرار، فبين أغراضه ووافق الخازن في تحديدها وقال بقوله :» قَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي صَدْرِ السُّورَةِ، وَكُرِّرَتْ هَهُنَا لِلتَّأْكِيدِ وَالْحَثِّ على اتباع الرسول النبي الْأُمِّيِّ الذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي كُتُبِهِمْ ونعتَه وَاسْمَهُ وَأَمْرَهُ وَأُمَّتَهُ»[3].

وبين البقاعي السر في الإعادة، فجمع بين ما قاله البيضاوي وما قاله أبو حيان فقال:» ولما طال المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعم، ثم في بيان عُوَارِهِم وهتك

(1) البحر المحيط310/1، 311.

(2) المصدر نفسه593/1، 594.

(3) تفسير القرآن العظيم 1/ 404، 405.

أستارهم وختم ذلك بالترهيب بخسارهم لتضييع أديانهم بأعمالهم، وأحوالهم وأقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير من حلول النقم يوم يجمع الأمم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم، ليعلم أن ذلك فذلكة القصة، والمقصود بالذات في الحث على انتهاز الفرصة في التفصّي عن حرمة النقص إلى لذة الربح بدوام الشكر»[1].

ثم أتبعه بقول الحرالي: «فلبعده بالتقدم كرره تعالى إظهاراً لمقصد التئام آخر الخطاب بأوله وليُتّخَذَ هذا الإفصاحُ والتعليمُ أصلاً لما يمكن أن يرد من نحوه في سائر القرآن حتى كأن الخطاب إذا انتهى إلى غاية خاتمة يجب أن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعاً لطرفي البناء وفي تفهمه جامعاً لمعاني طرفي المعنى»[2].

وقال أيضا: «ولما ختمت الآية الماضية بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفي القبول فقال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبذل في فكاكها من غير الأعمال الصالحة ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ غير مأذون فيها ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وإن كثرت جموعهم، قال الحرالي: أجراها تعالى في هذا التكرار على حدها في الأول إلا ما خالف بين الإيرادين في قوله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ إلى آخره ليجمع النبأ في كل واحد من الشفاعة والعدل بين مجموع الردين من الأخذ والقبول؛ فيكون شفاعتها لا مقبولة ولا نافعة، ويكون عدلها لا مأخوذاً ولا مقبولاً»[3].

ويرى الشوكاني أنه تكرار ووجهه الحثّ على إتباع الرسول النبي الأمي متبعاً في ذلك ابن كثير، وذكر قول البقاعي السابق واعترض عليه فقال: «لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ سَبَبُ التَّكْرَارِ ما ذكره من طول المدى وأنه أعاد مَا صَدَّرَ بِهِ قِصَّتهمْ لِذَلِكَ لَكَانَ الْأَوْلَى بِالتَّكْرَارِ وَالْأَحَقُّ بِإِعَادَةِ الذِّكْرِ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَبَنِيٓ

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور144/2، 145.

(2) المصدر نفسه145/2.

(3) المصدر نفسه145/2، 146.

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[1] فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَعَ كَوْنِهَا أَوَّلَ الْكَلَامِ مَعَهُمْ وَالْخِطَابِ لَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَة، هِيَ أَيْضًا أَوْلَى بِأَنْ تُعَادَ وَتُكَرَّرَ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ بِذِكْرِ النِّعَمِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالرَّهْبَةِ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ- وَبِهَذَا تَعْرِفُ صِحَّةَ مَا قَدَّمْنَاهُ لك عند أن شَرْعِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- فِي خِطَابِ بَنِي إِسْرَائِيل مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ فَرَاجِعْهُ»[2].

ورد أيضاً ما حكاه البقاعي عن الحرالي فقال: «لَوْ كَانَ هَذَا هُوَ سَبَبَ التَّكْرَارِ لَكَانَ الْأَوْلَى بِهِ مَا عَرَّفْنَاكَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ وَلِيُتَّخَذَ ذَلِكَ أَصْلًا لِمَا يَرِدُ مِنَ التَّكْرَارِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ فَمَعْلُومٌ أَنَّ حُصُولَ هَذَا الْأَمْرِ فِي الْأَذْهَانِ وَتَقَرُّرَهُ فِي الْأَفْهَامِ لَا يَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ آيَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَكُونُ افْتِتَاحُ هَذَا الْمَقْصِدِ بِهَا، فَلَمْ تَتِمَّ حِينَئِذٍ النُّكْتَةُ فِي تَكْرِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بِخُصُوصِهِمَا»[3].

القائلون بالتصريف:

جاء توجيه الإسكافي للمسالة عاماً فلم يتعرض فيه للتقديم في موضع والتأخير في موضع؛ إذ يرىٰ أن الآية جمعت علىٰ الترتيب كل الأمور التي يدفع بها المكروه عن الأعزة ونفت حدوثها في الآخرة، فالعرب تدافع عن العزيز بغاية القوة والجلد كما يدفع الوالد عن ولده، فإذا عجزوا عادوا بوجوه الضراعة والشفاعة، فإذا عجزوا عرضوا الفداء بالمال أو غيره، وعلىٰ مقتضىٰ التقاليد نفت الآية جدوىٰ تك التقاليد في الآخرة[4].

وبيّن الكرماني السر في ذلك فقال: «إنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤُهم عند الله، وآخرها في الآية الأخرىٰ؛ لأن التقدير في الآيتين معاً: لا تقبل منها شفاعة، فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع

(1) سورة البقرة، الآية:40.
(2) فتح القدير 159/1.
(3) فتح القدير 159/1.
(4) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ص12.

بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرىٰ ليكون لفظ القبول مقدماً فيها»[1].

ويرىٰ ابن الزبير توجيهاً لذلك معتمداً فيه علىٰ السياق المتقدم للآيتين إذ قال: «أنه لما تقدم في الآية الأولىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان وتكون في ذلك نجاته، وإذا أمكن هذا فقد وقع الاهتداء بأمر هؤلاء الذين قيل لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فهو مظنة عندهم لرجائهم أن ينفع عند مشاهدة الجزاء الإحساني للمأمورين بالبر حين قبلوا وامتثلوا أخذاً بظاهر حال الآمرين وإن كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون، وهذا جار علىٰ مألوف طمع اليهود... فلتوهم هؤلاء إمكان الشفاعة من أمرهم بالبر وطمعهم في ذلك كان آكد شيء نفي الشفاعة لهم لإمكان توهمها ولم يتقدم في الآية الأخرىٰ ما يستدعىٰ هذا فقدم فيها ذكر الفئة التي هي أولىٰ وأحرىٰ في كمال التخلص علىٰ ما عهد في الدنيا لو أمكنت»[3].

ويرىٰ الألوسي أنه تفنن في التعبير فبعد أن ذكر قول البيضاوي قال: «وقد تفنن في التعبير فجاءت الشفاعة «أولاً» بلفظ القبول متقدمة علىٰ العدل، «وهنا» بلفظ النفع متأخرة عنه»[4]، ثم أتبعه بتوجيه أبي حيان، وزاد عليه فقال: «وقيل: إن ما سبق كان للأمر بالقيام بحقوق النعم السابقة، وما هنا لتذكير- نعمة بها فضلهم علىٰ العالمين- وهي نعمة الإيمان بنبي زمانهم، وانقيادهم لأحكامه ليغتنموها ويؤمنوا ويكونوا من الفاضلين- لا المفضولين- وليتقوا بمتابعته عن أهوال القيامة وخوفها- كما اتقوا بمتابعة موسىٰ عليه السلام»[5].

وأرجعه محمد الطاهر ابن عاشور إلىٰ التفنن أيضاً إذ قال: «هو تفنن، والتفنن

(1) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص27، 28.
(2) سورة البقرة، الآية:44.
(3) ملاك التأويل ص33.
(4) روح المعاني371/1.
(5) روح المعاني371/1.

في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير»[1].

ويرىٰ محمد عبده أن إعادة التذكير بهذه النعمة هنا للمناسبة الظاهرة، وأن هذا ليس من التكرار الذي يتحاماه البلغاء، وإنما هو إعادة الشيء لإفادة ما لا يستفاد بدونه، ويرجعه إلىٰ التفنن في التعبير حيث يقول: «وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ بِهَذَا التَّفَنُّنِ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْفِدَاءِ وَالشَّفَاعَةِ فِي الْجَوَازِ وَالْمَنْعِ، فَمَنْ مَنَعَ الْعِوَضَ فِي الْآخَرِ، لَزِمَهُ مَنْعُ الشَّفَاعَةِ، فَإِنْ جَوَّزَهَا جَوَّزَهُ»[2].

واستشهد النقراط بهذه الآيات لبيان التصريف العجيب، والبناء الدقيق للألفاظ بالتقديم والتأخير فقال:» تنوّع البيان في هاتين الآيتين بتقديم الشفاعة في الآية الأولىٰ وتأخير العدل، وتقديم العدل في الآية الثانية وتأخير الشفاعة؛ لأسرار ذكرها الكرماني، وذكر توجيه أبي حيان للآية[3].

وقال أيضاً نافياً التكرار عنها: «ثم قرن -سبحانه وتعالىٰ- تذكر بني إسرائيل بنعم الله عليهم بالترهيب تحذيراً من يوم القيامة، فقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، وذلك ما أشار إليه ابن كثير؛ إذ قال: «لما ذكرهم الله -تعالىٰ- بنعمه أولاً عطف علىٰ ذلك التحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة»، والجدير بالتنبيه إليه في هذا المقام أنه لا تكرار بين هذه الآيات، وإن اتفقت في بعض الأحيان في أسلوبها، وبعض معانيها»[4].

الترجيح:

والراجح في المسألة هو القول بالتصريف والتفنن

1. لما ذكره ابن الزبير معتمداً فيه علىٰ السياق.
2. لما ذكره البقاعي من سر الاختلاف بين الآيتين معتمداً علىٰ سياق كل

(1) التحرير والتنوير 698/1.
(2) تفسير القرآن الحكيم 370/1، 371.
(3) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 281/1.
(4) تصريف الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ص157.

آية فقال في الآية الأولىٰ: «ولما تقدم أنه فضّلهم وعاهدهم وأن وفاءه بعهدهم مشروط بوفائهم بعهده ناسب تقديم الشفاعة»[1]، وقال عن الآية الثانية: «ولما ختمت الآية الماضية بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفي القبول فقال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبذل في فكاكها من غير الأعمال الصالحة ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ غير مأذون فيها ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وإن كثرت جموعهم»[2].

3. للمناسبة الظاهرة كما قال محمد عبده.

4. «إدخال الكلام في معنىٰ ما قبله وما بعده أولىٰ من الخروج به عن ذلك»[3].

وفي ختام هذا المبحث لا أزعم أنني قد استقصيت كل الآيات المتشابهات في هذا المبحث، وإنما هي نماذج مختارة من الذكر الحكيم، وبالنظر فيها وفي وغيرها من الآيات المتشابهة نجد أن القرآن الكريم قد تفنن وأبدع في تصريفه لهذه الآيات، وبهذا أقرر أن هناك خطأ في اختيار المصطلح المناسب عند بعض المهتمين؛ إذ يخلطون بين التكرار وبين مدلولات التصريف القرآني[4]، والمصطلح الأنسب والأدق هو التصريف، فالتصريف مصطلح قرآني، والتكرار ليس كذلك، وما كان من القرآن الكريم أولىٰ ممن كان من خارجه، وأيضاً من باب تنزيه القرآن الكريم عما قد يوصف به التكرار من المساوئ.

الخاتمة: فالحمد لله علىٰ تمام النعمة، فهذا آخر البحث وخاتمته والتي أعرض فيها -بإذن الله- أبرز النتائج التي توصلت إليها خلال دراستي:

1. أنه ليس من السهولة بمكان أن تقف حاكماً بين لفظين فصيحين، وتبين

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 352/1.
(2) المصدر نفسه146/2.
(3) المفيد في أصول التفسير ص196.
(4) ينظر بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 599/1.

أيهما أحق بأن يطلق على كلام الله -عز وجل- أحدهما نال حظًّا ما في كلام العرب، وشاع استخدامه وهو التكرار، والآخر نال حظاً أوفر فورد في كلام الله -تعالى- وهو التصريف.

2. أن الذي يمعن النظر في تلك الآيات المتشابهة يجد أنها جزء لا ينفصل عن الآيات التي تندرج فيما سماه القرآن بالتصريف، لا تكرار فيها ولا بينها، وأن وصفها بالتكرار هو استعمال خاطئ لا ينبغي أن يوصف به كتاب الله -تعالى-[1].
3. أنه من فوائد دراسة الآيات المتشابهات نصب دليل على إعجاز القرآن الكريم، فمن يطالع ضروب التصريف فيها، ويطلع على العلل والأسرار، ودقائق المعاني يعلم يقيناً أنه تنزيل من رب العالمين.
4. أنه بالنظر في النماذج التي ذكرتها نجد أن أقوال العلماء والمفسرين فيما يتعلق باستخدام لفظ التصريف والتكرار فيها نوع من الاضطراب، فتارة تجد قول المفسر تحت عنوان: القائلون بالتكرار، وتارة تجد قوله تحت عنوان: القائلون بالتصريف.
5. أنه غالباً ما يطلق لفظ التكرار على الآيات المتشابهات، والتي تكون في سورة واحدة موصولة أو مفصولة، مع أن هذا الضرب جدير باسم التصريف؛ لما فيه من تصريف في العبارة هو آية على تصريف في المعنى مما يَصْرِفُه عن استحقاق اسم التكرار، أما الآيات المتشابهات في سور مختلفة فقلما نجد من يصفها بالتكرار.
6. أن التصريف مصطلح قرآني والتكرار ليس كذلك، والاستعمال القرآني أولى من الاستعمال البشري، فضلاً عن أن التكرار مصطلح يجب أن ينزه القرآن عنه لما فيه من المطاعن، وما يحمله من معنى التنقص.
7. أن السياق القرآني أحد أعمدة الترجيح الأساسية في منهجية التفسير، وهو يضبط فهم المتلقي.

(1) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 406/1.

وأخيراً اقترح وجوب الاهتمام بهذا المصطلح وإيثاره على غيره من المصطلحات المقاربة له، وعلى البحوث أن تواكب ما استجد، وعدم تحكيم قواعد البشر في القصص، والأدب، والبلاغة، على القرآن الكريم، فالقرآن أصل الأصول يقاس غيره عليه، ولا يقاس هو على غيره.

وختاماً أسأل الله أن يلهمني الصواب ويوفقني، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

==========

مصادر البحث ومراجعه:

- أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، لتهاني بنت سالم بن أحمد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السعودية، 2007 هـ.
- إرشاد العقل السليم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة 1425 هـ.
- الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، لمحمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1424 هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة لأولى 1418 هـ.
- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.
- بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن، لمحمود بن حمزة الكرماني، قدم له وراجعه: أحمد عزالدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1411هـ/1991 م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1376 هـ.
- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، لعبد الله بن محمد النقراط، دار قتيبة، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى 1423 هـ/2002م.
- أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، لأحمد جمال العمري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة، العدد الثالث، ذو الحجة 1396 هـ / ديسمبر 1976 م.
- البيان والتبيين، البيان والتبيين، لعمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس،1984 هـ.
- التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي، دط، دت.
- تفسير السمعاني، لمنصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، 1418 هـ- 1997 م.
- تفسير فخر الدين الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
- تفسير ابن فورك، لمحمد بن الحسن بن فورك، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1430هـ - 2009 م.
- تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990 م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1420 هـ.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى 1410 هـ.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1433 هـ.
- التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2005 م.
- تصريف الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، لعبد الله بن محمد النقراط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى 2019 م.
- تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى -عليه السلام-، امحمد محمد صافي المستغانمي، عالم الكتب، إربد، الأردن 2011 م.
- تصريف المعاني في القرآن الكريم، لعبد العزيز بن صالح العمار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة العلوم العربية، العدد الرابع والعشرون، رجب 1433 هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403 هـ.
- التقرير في التكرير، لمحمد أبو الخير، الشهير بابن عابدين، د ط، د ت.
- التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2001 م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- جواهر القرآن، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1985 م.
- حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري، دار النشر: دار صادر، بيروت.
- الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ.
- حمل المتشابه على التفنن (تفسير الألوسي أنموذجاً)، د. ياسر محمد بابطين، مجلة الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثامن عشر.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة 2004 م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، 1413 هـ.
- دراسات قرآنية، لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة 1982 م.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لابن أبي الفرج المعروف بالخطيب الاسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة،1979 م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ.
- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1402هـ.
- السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني دراسة في رحاب التكرار، بو مدين هواري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011.
- شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، لمحمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
- شرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1423 هـ .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى، تحقيق: د حسين بن عبد الله

العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418 هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ.
- الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419 هـ.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الملقب بالمؤيد باللَّه، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
- العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، لمحمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة، القاهرة، 1424 هـ.
- علوم القرآن الكريم، لنور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الأولى، 1414 هـ، 1993 م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، قدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا، بَيروت، 1412 هـ.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م.
- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، بدر الدين، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة الأولى، 1410 هـ / 1990 م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن

عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
- متشابه القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي، تحقيق: صبيح التميمي، منشورات كلية الدعة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1402 هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
- محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ.
- مسالك الكشف عن مقاصد القرآن من خلال الأسلوبية (التكرار أنموذجاً)، أ.د بولمعالي النذير، وأ. تمطاوسين علي، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، التواصلية، العدد العاشر.
- مصطلح الفتنة في القرآن الكريم تنوعه ودلالته ومقاصده وأبرز سماته، لسالم فرج سعد أبو خطوة، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة طرابلس، 2015 م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- المفيد في أصول التفسير وقواعده ومناهج المفسرين، لعبد الله بن محمد النقراط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى 2019/1440 م.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه، لعبد الله محمد النقراط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الأولى 2008 م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن حبيب، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ.